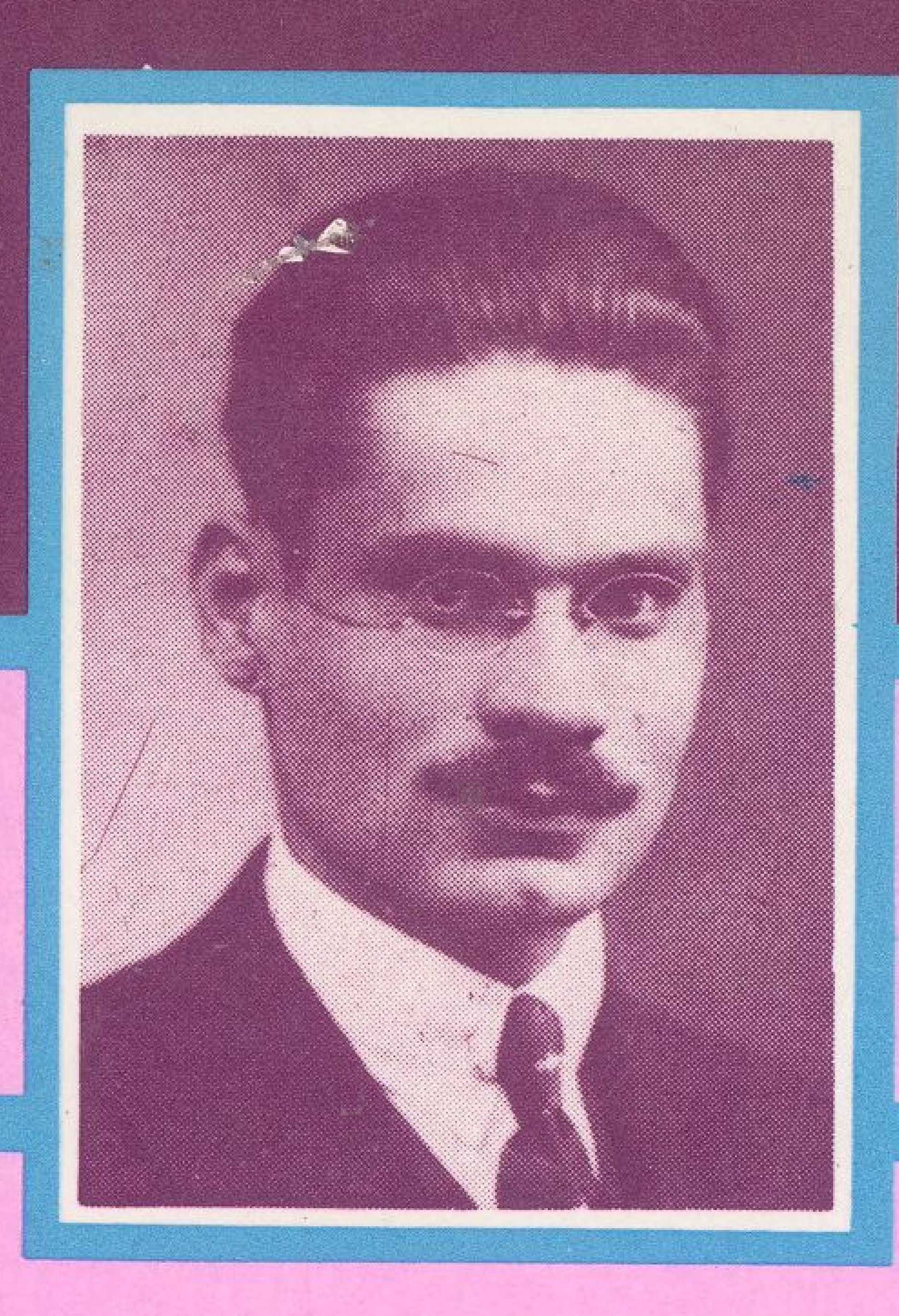
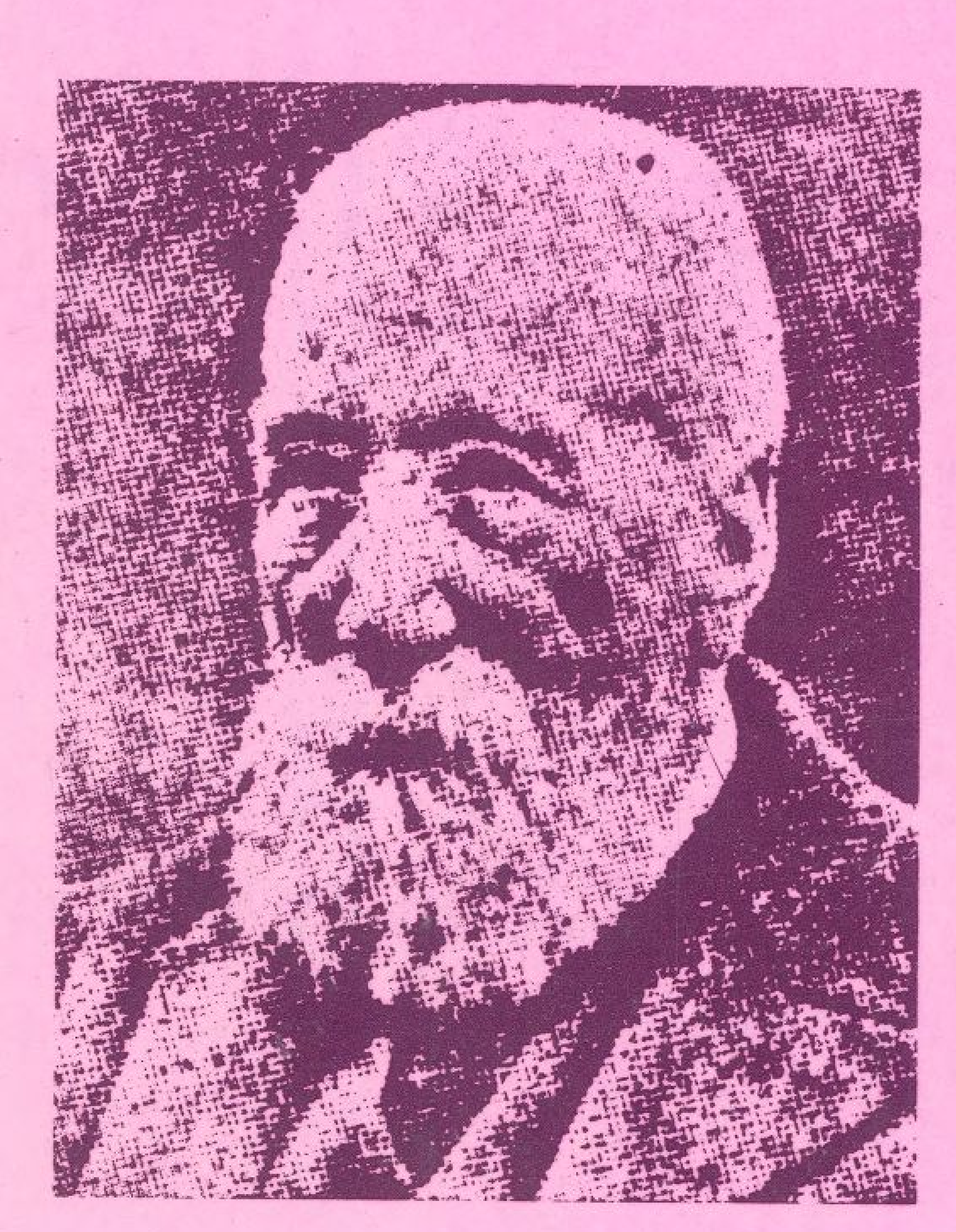
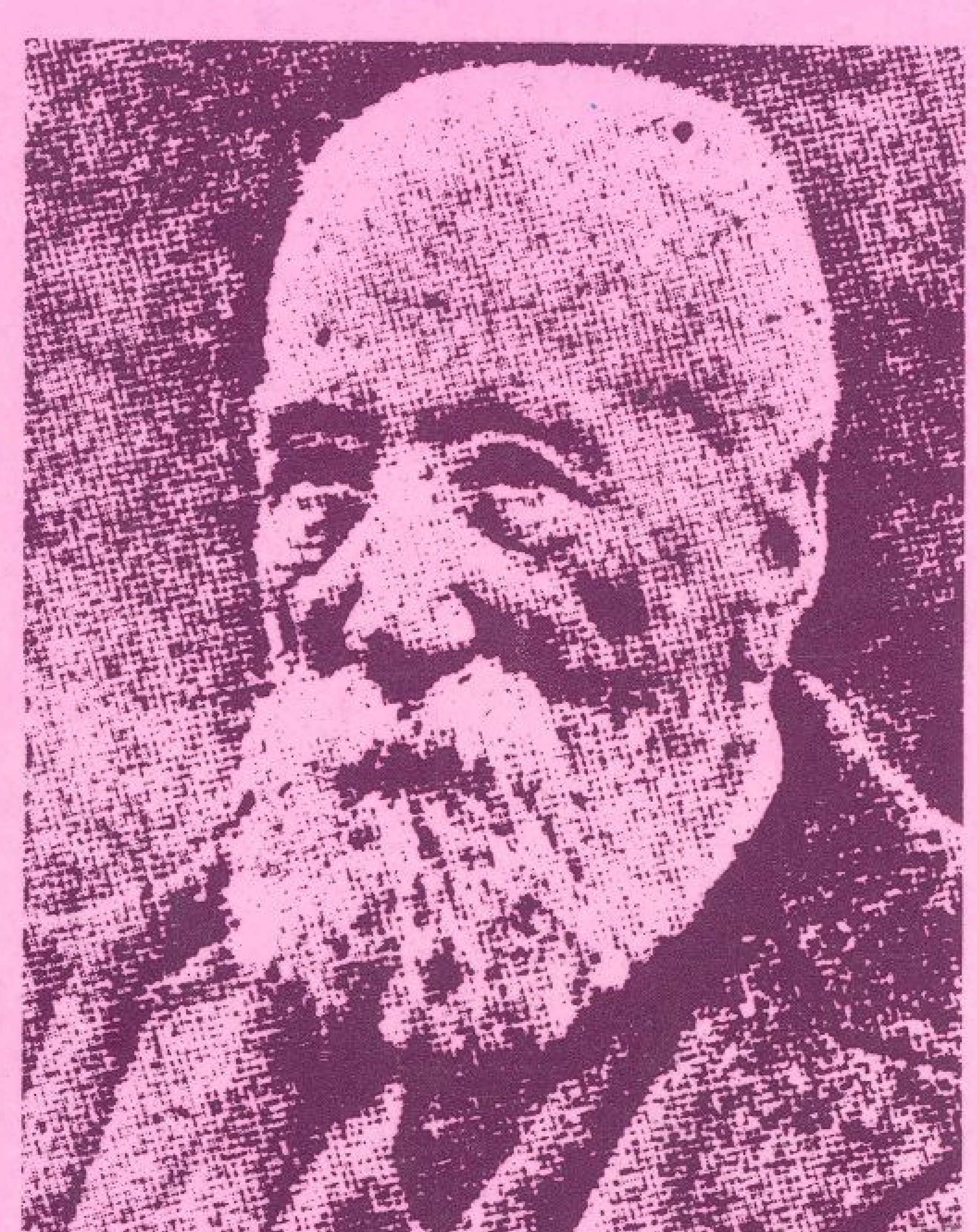


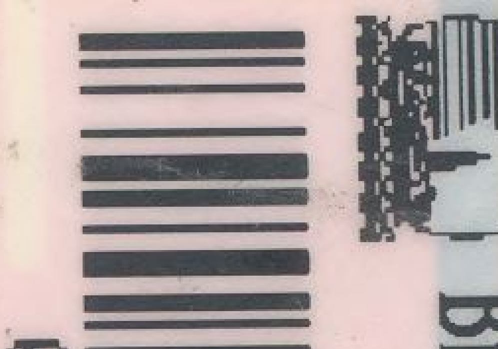
عمر فاخوري

الاعمال الكاملة





آراء اناتول فرانس



دار الآفاق الجديدة

آراء اناتول فرانس

تصميم الغلاف :
نجدت قلعجي

آراء

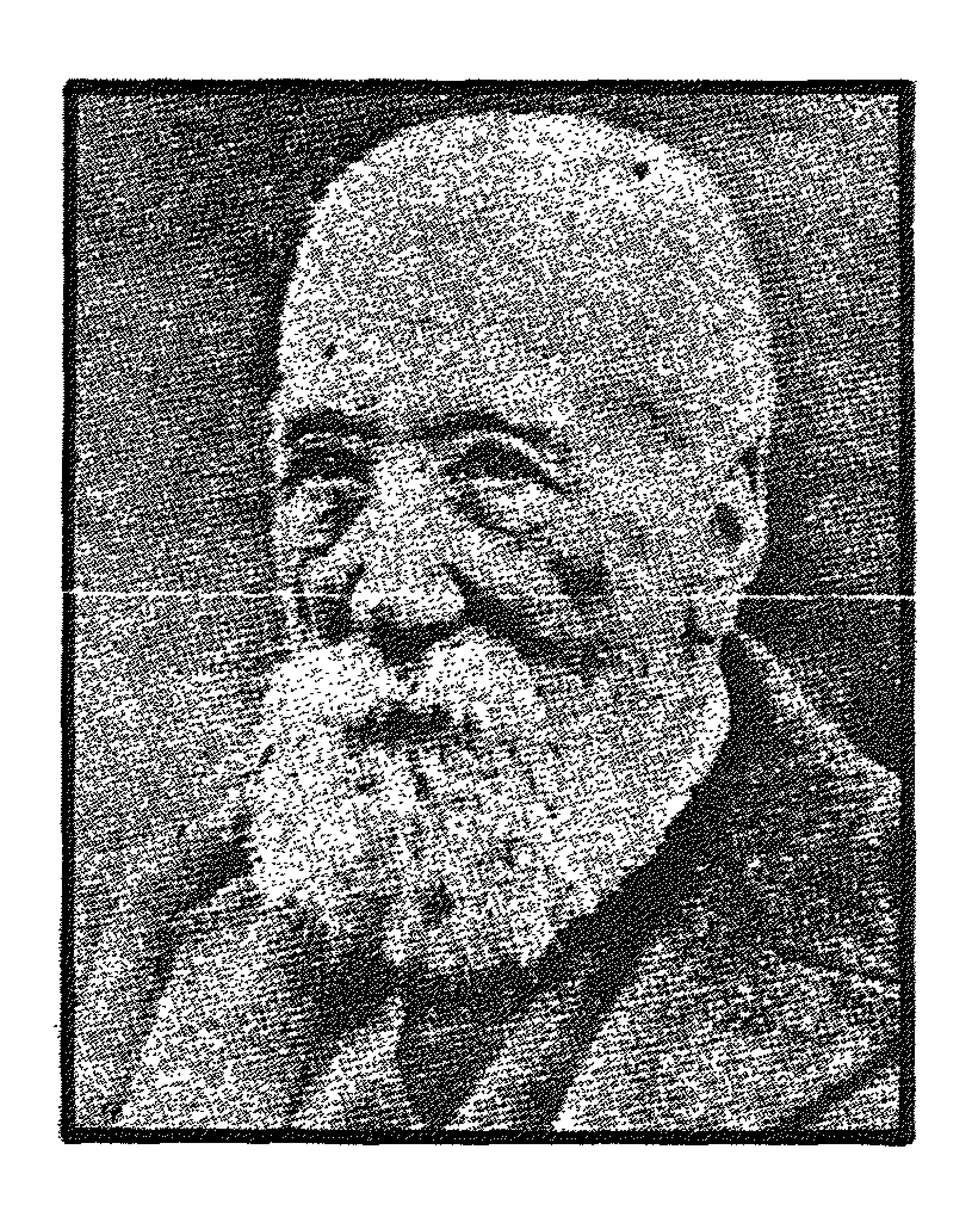
اناتول فرانس

ترجمة

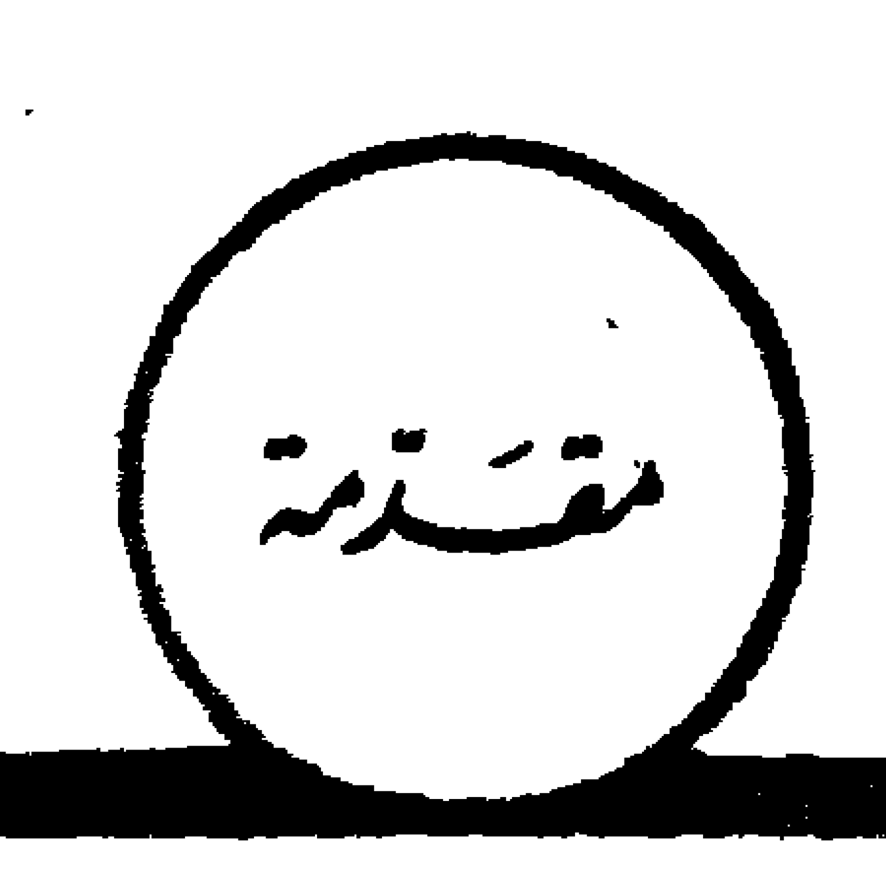
عمر فاخوري

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م




اناتول فرانس



كتاب «آراء أناتول فرانس» هو أول كتاب مترجم صدر لعمر فاخوري. وقد نشرت طبعته الأولى مجلة «مينرفا»[1] ووزعته هدية لمشتركيها دون ذكر تاريخ صدوره. انما من مقدمة امين الريحاني للكتاب، المؤرخة في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٥، يستدل انه صدر بين آخر سنة ١٩٢٥ وأول سنة ١٩٢٦[2].

وليس لي بعد تعريف امين الريحاني بأناتول فرانس (١٨٤٤ - ١٩٢٤) أن أضيف على ما كتبه عنه لأعرف مجدداً بهذا المفكر. بل يكفيني فقرة من مقدمة الريحاني اتوج بها مقدمتي وانطلق منها للتعريف بهذا الكتاب. والفقرة التي اعنيها تلك التي عبر فيها الريحاني عن رأيه بأناتول فرانس قائلاً: «.. وانه (فرانس) في رأيي أعظم الثلاثة الذين ورث روحهم الفكرية والفنية. لأن الشك عنده خيال لليقين، والتهكم تهكمه لا يدمي ولا يشين. ابتسم فلتير فهدم، وضحك لافونتين فأضحك وادهش، وسخر رنان فأحزن. أما اناتول فرانس ففي إبتسامه ما يؤنس دائماً ويسر أو يدعو فوق ذلك الى التفكير وإلى الأمل».[3]

١

(١) مجلة بيروتية أنشأتها ماري يني عطاالله عام ١٩٢٤ وأصدرتها اربع سنوات ثم احتجبت.

(٢) عدد صفحات هذه الطبعة ١٤٣ صفحة، قياس: ١٨ × ١٢ سم.

(٣) ص ١٣ من هذه الطبعة.

وبعد ،

سواء إجتمع عمر فاخوري بأناتول فرانس أم لم يجتمع[٤] فإن هذا ليس من شأنه ان يؤثر على الحقيقة الثابتة وهي الإعجاب الشديد الذي كان عمر فاخوري يكنه لأناتول فرانس الى حد جعل رئيف خوري يصرح انه «لن يفهم عمر الأديب فهماً كاملاً إلاَّ بإدراك التفاعل الذي تم في ذاته بين الاثنين على الأقل، أحدهما من الغرب، اناتول فرانس. والآخر من الشرق، الجاحظ ».[٥]

وإعجاب عمر فاخوري بأناتول فرانس يعود الى انه «لقي في آرائه صدى لما في نفسه من ميول، ولا سيما النزعة الإنسانية

---

(٤) تذكر حياة كساب في كتابها «عمر فاخوري، الأديب الثائر» (مطبعة الغد، طرابلس ١٩٦٧ ص١٦) أنه في باريس «تعرف عمر الى الكاتب الفرنسي اناتول فرانس Anatole France واجتمع به» وتذكر وداد سكاكيني في كتابها عمر فاخوري (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر دار الكاتب العربي سلسلة اعلام العرب العدد ٨٩٤ فبراير ١٩٧٠ ص(٢١) ان عمر سعى الى اناتول فرانس وعرفه. ولكن امين البرت ريحاني في كتابه «قلم يفك الرصد أو عمر فاخوري» (دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري، ١٩٧١ ص٧٢ هـ-٢) ينفي ذلك ذاكراً ان شقيقه وجيه قد أخبره ان عمر لمح عن بعد اناتول فرانس عدداً من المرات في احد المقاهي الباريسية دون ان يجتمع به. اما قصة الصورة التي تجمع بين الملك فيصل واناتول فرانس والتي كان يحتفظ بها عمر فاخوري فإن دلت على إعجابه بالرجلين فلا تدل بالضرورة على اجتماعه الشخصي بأناتول فرانس».

(٥) رئيف خوري: عمر فاخوري في ٥٠ سنة. مجلة «الطريق» بيروت عدد:٩ و١٠ (١٩٤٦) ص٤.

المصلحة وروح السخرية اللاذعة »[٦].

وإعجاب عمر فاخوري بأناتول فرانس جعله لا يكتفي بترجمة آرائه بل يترجم له أيضاً «كرنكبيل Crainquaibille»[٧] و«الخبز الأسود»[٨] و«التاريخ»[٩].

قدم عمر فاخوري لترجمته لآراء أناتول فرانس بمقاله بعنوان «مرثاة» سبق له ونشره في جريدة «الاحرار»[١٠] تحت صورة تمثل الملك فيصل الأول وأناتول فرانس علق فيه على لقاء المفكر الفرنسي بالملك العربي معتبراً هذا اللقاء رمزاً للقاء الشرق بالغرب وهو «الرمز الذي جسده فرانس في مؤلفاته المتسمة بالشمول الإنساني المتخطي حدود الزمان والمكان»[١١]. بعدها تأتي آراء اناتول فرانس كما ترجمها عمر في فقرات دون تبويب.

انما يمكن تصنيفها في المواضيع التالية:

الاجتماع والمجتمع، الأديان، الفلسفة، الوطن، الدولة، السياسة، الفنون، الآداب، العلوم، الحياة الانسانية وأحوال

---

(٦) كتاب: عمر فاخوري، الأديب الثائر. -المرجع السابق ص١٠٩.

(٧) نشرت الترجمة تباعاً في مجلة «الكشاف» بيروت سنة ١٩٢٧ (١: ٨ و٩ و١٠ ص٤٩٧ و٥٦٨ و٦٣١ وما بعدها.

(٨) نشرتها مجلة الكشاف سنة ١٩٣١.

(٩) نشرت الترجمة عن مجلة الكشاف سنة ١٩٢٩ (٣: ١ - ٢، ١٢٢ - ١٥٠ و٣: ٣ - ٤، ٢٩٧ - ٣١٦ و٣: ٥، ٣٧٢ - ٣٩٤.

(١٠) الأحرار. بيروت عدد ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٢٤.

(١١) امين البرت الريحاني: قلم يفك الرصد. المرجع السابق ص٨٢.

النفس الإنسانية، المرأة، الحرب، المقامرة.

لا أعتقد أن عمر فاخوري المعاصر لأناتول فرانس والمعجب به، أو أي قارىء، أو كاتب اليوم - وانا منهم - يوافق اناتول فرانس على ما جاء في كل رأي من ارائه هذه. ليس لاختلاف الزمان والمكان فحسب، بل ايضاً من حيث الأساس المبني عليه الرأي والنتيجة التي يؤدي اليها مفهومه. ورغم هذا يبقى لمعظم هذه الآراء واعني بها تلك التي تدخل في باب الحكم او الأمثال، نتيجتها الانسانية الخالدة التي لا جدل فيها.

ويتجلى حضور عمر فاخوري الأخاذ في «آراء أناتول فرانس» كما تجلى في جميع ترجماته. والفضل في ذلك يعود الى فن الترجمة الذي تميز به عمر فاخوري والذي جمع بين دقة نقل الأصل، والإبداع في أسلوب تعريبه وعرضه. لذلك نجد رئيف خوري يقول ان كتاب «آراء اناتول فرانس» «هو فن من حيث هو نموذج نادر في التعريب الذي سلم من اثر الأصل الأعجمي»[١٢] ونجد د.انطوان غطاس كرم يعتبر «انك امام أدب ابداعي لا ادب منقول. وان رواسب الصيغ الفرنسية قد تحولت على مرقمة الى تمام معادلاتها الحميمة في عبقرية اللغة العربية»[١٣]

(١٢) رئيف خوري: عمر فاخوري في ٥٠ سنة المرجع السابق ص٤

(١٣) انطوان غطاس كرم: عمر فاخوري. ملحق النهار. بيروت العدد ٩٣٢٨ اول آب سنة ١٩٦٦.

أخيراً،

لعل خير ما نختتم به مقدمة لكتاب «آراء أناتول فرانس» هو أحد هذه الآراء، وليكن قوله:

«كتبي يا كتبي! لا يقول احد في كتابه شيئاً مما يود أن يقول. وما كان لأمرىء أن يعرب عن مكنونات نفسه. نعم انا قادر كغيري على أن أحدث بقلمي. لكن ما الكلام وما الكتابة؟ سخافة أي سخافة! لو فكرت في هذه الإشارات التي تتألف منها المقاطع والكلمات والجمل لأشفقت! ماذا يبقى من الفكر الجميل تحت هذه الهيروغليفات الغريبة المألوفة؟ ماذا يصنع القارىء بالصفحة التي اكتبها؟ سلسلة من معان مغلوطة ومن معان معكوسة ومن لا معاني. ليس المرء إذ يقرأ ويسمع إلاّ مترجماً. وقد توجد ترجمات حسنة ولكن لن توجد ترجمة امينة. ماذا يهمني ان يعجبوا بمؤلفاتي إذا كانوا لا يعجبون إلاّ بما يضعونه فيها؟ ان كل قارىء يبدل برؤيانا رؤياه وغاية ما في الأمر انا نعطيه سوطاً يهيج مخيلته».

والآن إلى القارىء آراء اناتول فرانس كما عبر بها الينا عمر فاخوري.

١٥ نيسان سنة ١٩٨٢

فاروق سعد

المقدمة

جاءني كتاب من احد الاصدقاء فيه هذه الكلمات العسجدية: «وانت انسان عين الفضل والكمال، مجمع اشعة الحكمة، بل قطب دائرة العلوم على الاجمال». فخفت لاول وهلة من نفسي، ثم خجلت. وهل في عالم الادب ياترى، شرقاً وغرباً، من يستحق هذا الاطراء؟

ثم جاءني كتاب من صاحبة مجلة «مينرفا» ومعه «ملازم» هذا الكتيب تسألني مقدمة تليق به. فذكرت اذ ذاك كتاب صديقي الاخر وقلت: قد كتبها بارك الله فيه. فان ما جادت به قريحته لا يليق بغير واحد من كتاب العالم في القرن العشرين وهو اناتول فرانس.

ومع ذلك فان «انسان عين الفضل والكمال» كبيرة حتى على الكاتب الافرنسي الشهير، و«مجمع اشعة الحكمة» صفة من الصفات الالهية، و «قطب دائرة العلوم على الاجمال» لا تنطبق الا على محرر او

لجنة تحرير دائرة المعارف. ولكنها في كنهها، اي في ما يتغذى ويتحلى به الادب الممتاز، هي من محاسن اناتول فرانس، او بالحري هي سياء محاسنه. ففي الصفة الاولى - ولك ان تصرف النظر عن «العين وانسانها» - الفضل والكمال - الفضل الجم في عطفه الانساني، والكمال او ما يدنو منه في الفن.

ان اناتول فرانس لمثل الآلهة الذين يكثر من ذكرهم عظيم التساهل، رؤوف رحيم. فهو قلما يقف مندداً مهدداً او مرشداً منذراً. بل يروي لك من الحوادث، ويبدي من الآراء، ويداعب ويتفلسف، دون ان يدعك تشعر بسعة علمه، او بكروية نبوغه، او بما في الاثنين من سلطان.

اجل، ان نبوغ هذا الافرنسي كروي لا يحده غير ما يحد الارض ويصلها مع ذلك بلا نهاية الاكوان. وان عطفه لمثل نبوغه. هذا يحيط بما للقوى العقلية والنفسية من الاثار والاصول، وذاك يشمل الضعف البشري في مظاهره كلها. وهو من هذا القبيل مثل ذاك الذي صلب في قديم الزمان، يمر بالخطيئة -

خطيئة القلب وخطيئة الحواس - مَر الكريم بل مرَّ المسيح.

اما الصفة الثانية فهي تنطبق عليه ايضاً ان لم يكن بالكمية فبالكيفية. ففي صفحاته تنعكس اشعة للحكمة من مطالع انوارها القريبة والبعيدة، القديمة والحديثة، من بلاد الاغريق والرومان، ومن بلاد فُلتير ورنان ومن مصادر العلم والعرفان في كل زمان.

ان في حكمة هذا الافرنسي الكبير اشعة من الـ «أكروبول» واشعة من جبل «برناس» واشعة من جبال الجليل، كما ان فيها اشعة من فلتير ولافونتين ورنان. وهي متنوعة الالوان، فيها الاصفر والاحمر والابيض والازرق - اي السخرية والحماسة والحب والامل - على الدوام.

وانه في رأيي اعظم الثلاثة الذين ورث روحهم الفكرية والفنية. لان الشك عنده خيال لليقين، والتهكم تهكمه لا يدمي ولا يشين. ابتسم فلتير فهدم، وضحك لافونتين فاضحك وادهش، وسخر رنان فأخزن. اما اناتول فرانس ففي ابتسامه ما يؤنس دائماً ويسر، ويدعو فوق ذلك الى التفكير والى الامل.

وهناك مزية اخرى يمتاز بها صاحب الاراء في هذا الكتيب الكبير على من تقدمه، وكلهم استرسلوا في بعض المواقف الى التعصب فكانوا متحاملين. قد غالى فلتير بمحاسن الطريقة المدرسية في الشعر مثَلا فتحامل من اجل ذلك على شكسبير. وغالى في امر الخرافات والخزعبلات فتحامل على النبي محمد. اما رنان فتعصبه للفنون الاغريقية ولكل ما هو اغريقي في الادب والفلسفة حمله على الطعن بالشرقيين وخصوصاً بالساميين. وليس في ما كتب اناتول فرانس، او في ما قرأته في الاقل، حتى في «سيرة جان دارك شيء من التعصب او ما يشف عن تعصب خفي.

يجب ان احافظ في هذه الكلمة على قاعدة التناسب، فلا استوقف القارىء الى حدّ الملل في الباب. وهو ولا شك يود ان يقرأ اناتول فرانس لا ان يقرأني. فاقف في النظر بنبوغه عند هذا الحد اذن لأقول كلمة وجيزة في حياته ومؤلفاته.

لم يكن هذا الافرنسي العظيم من خريجي الكليات العالية، ولكنه تلقن علومه من اساتذة في الحياة في

ثلاث مدارس مهمة. اولها مدرسة ابيه، وقد كان كتُبياً وثقة في التاريخ. فقد ولد اناتول[١] سنة ١٨٤٤ في المكتبة ودب ودرج بين الكتب والاوراق.

ثم دخل في خدمة عبرانيٍ يتاجر بالتحف والاثار الفنية فتشرب روح الفنون من الامثال لا من الاقوال. وبعد ذلك دخل الجامعة الكبرى، جامعة الحياة. فطالع الكتب الحديثة والقديمة فيها - هام بما شاهده في شوارع المدينة، وبما شاهده في المتاحف الوطنية - هام بالصور الناطقة والصامتة، وبما تمثل، بما تظهره وتكنه من الاسرار ومن المسرات والاحزان. وقف مدهوشاً معجباً امام صفحات ملونة لا معنى ظاهر لها ولكنها جميلة، وصفحات سودٍ معانيها مشوشة، وصفحات هامشها احسن ما فيها، وصفحات كُتبت بالدم واخرى بالدموع، وغيرها مما كَتب ذاك الذي غلب خالقه فكان بعدئذٍ مدحورا. في هذه الكتب الحية الناطقة درس اناتول فرانس الحياة بعد ان ساحَ وغاص وتغلغل في كتب ابيه.

---

(١) اناتول فرانس اسم منتحل اما اسمه الحقيقي فهو اناتول تيبو

ثم بدأ يكتب ما أوحي اليه بخصوصها. فالف ثم الف حتى تجاوزت رواياته الثلاثين.وهناك مؤلفات عدة في النقد الادبي والتاريخ. ولكنه لم يطبع له كتاب قبل ان بلغ الخامسة والثلاثين من سنه، فظهرت في سنة ١٨٧٩ روايته الاولى وهي «جوكاستا والهر الجائع» ثم بعد سنتين طبعت الرواية التي كللتها الاكاديمية الفرنسية وهي التي تدعى «ذنب سلفستر بنّار»[١]. ولكن الاكاديمية لم تنتخبه عضواً فيها إلا بعد خمس عشرة سنة من ظهور هذه الرواية الممتازة في جمالها الرائع الهادي.

وقد كان انتخابه ولا شك من باب التعويض والموازنة لان الاكاديمية التي لا تخطىء لا تصيب. وان اجمل كلمة قيلت فيها هي التي ستقرأ في الصفحة الاولى من هذا الكتاب، وقد أحسن المترجم الاختيار والتوازن فيه.

ولكن محاسن اناتول فرانس كلها لا تظهر في آرائه

---

(١) ومن رواياته المشهورة: آراء كرانيار. قصص تورنبروش. بلتزار. بستان ابيقوروس. ظمأ الآلهة. تمرد الملائكة مثوى الملكة بيدوك. جزيرة البنغوين الخ. وله في التاريخ: سيرة جان دارك. وفي النقد الادبي: الحياة الادبية.

بل في الروايات التي هي مسرح فنه، وعلمه، وخياله، وحكمته. هناك يتمثل لك التساهل بكليته، والتوازن والانصاف في الاحكام، والحكمة التي لا تخلو قطعاً من العطف الجميل، والعلم الخالي من التنطع، والسخرية الخالية من السم، وتلك الروح الخفيفة السامية - الساميَّة - المقرونة بفكرٍ ثاقب كالنور، جلي كالبلور، دقيق كالاثير، منور كالربيع، مثمر كالصيف.

ان اناتول فرانس قريب دائماً من الارض حتى في ما تسامى من فكره وخياله. وقريب كذلك من السماء التي يبغيها للانسان في العالم، وان كان من اركانها ركن او ركنان للاوهام.

الفريكة. لبنان . في ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٥

أمين الريحاني

مرثاة

من اي ناحية تأخذ هذه الذاتية الكبرى ذات الوجوه المختلفة اجمل اختلاف وتنوع، في اجمل نظام وحدة وتوازن: اناتول فرانس؟

«سألت عن طريقي اولئك الذين ادعوا معرفة جغرافيـــة المجهول جميعـــاً، اعني رجـــال الـــدين والعلم،والسحرة والفلاسفة. فلم يستطع واحد منهم ارشادي الى السبيل الاقوم. لذلك اخترت هذا الطريق الذي تظله اغصان غضة مشتبكة، تحت السماء الضاحكة الضحيانة، تقودني عاطفة الجمال. فمن ذا الذي وفق الى خير من هذا الدليل؟»

وهكـــــذا حشر فكره سير الاولـــينوالاخرين، ومعارفهم وفنونهم ودياناتهم وفلسفاتهم، فكان اوسع ادباء عصره اطلاعاً واغزرهم مادة. ويقول العارفون

---

* نشرها في عدد ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٢٤ من «الاحرار» تحت رسم يمثل الملك فيصل واناتول فرانس وهما يتحدثان.

انه كان يرصع احاديثه بنادرة غريبة او بيت من الشعر منسي او صحيفة من صحف الاقدمين مطوية، وكان كالقناعة كنزاً لا يفنى. بيد اننا برغم هذا الحشر الحافل بمختلف الصور والآراء، لا نقف منه على صهريج مظلم موحش يخزن الماء الآسن بل على ينبوع لا يفتأ سلسبيله يتفجر متجدداً في صفاء وسخاء وضياء. زهرات ذابلة، يا الله! ولكنها في يده تندى وتحيا ويحوم حولها طير ساجع. والاّ فمن اين لانشائه سطوع الطيب والنور وموسيقى الاسحار؟

«اني لتأخذني فيك يا لوسيان. انك تضحك مما لا يجب الضحك منه. وليس يعلم قط اهازل انت ام جاد؟»

كلمة قالتها عقيلة برجره لزوجها. والسيد برجره هذا وجه من وجوه الذاتية المعروفة باناتول فرانس، ولعله هو لانه احب اشخاص قصصه الى نفسه واتمهم شبهاً به. هذه الحياة الانسانية بما فيها من مناقضات واوهام وشرور، وهؤلاء البشر كم عبدوا من آلهة وشادوا من ممالك واعتنقوا من مذاهب! فماذا بقي منها جميعاً؟ بقي أنّه قتلوا بعضهم بعضاً. ما اكثر

الحمقى والاشرار في الدنيا! أكانت لولا الرذيلة فضيلة؟ أقلت انك على حق لولا باطلهم؟... لذلك اخذت السيد برجره الحيرة في اي موقف يقف من هذه الشؤون: موقف الغاضب الذي يصب اللعنات ام موقف النادب الذي يسكب الدموع؟ فضحك بل ابتسم ابتساماً لا يصدق فيه قول المعري: ضحكنا وكان الضحك منا « سفاهة »..

«ليست السخرية التي اعنيها قاسية ولا موجعة، كما انها لا تستهزىء بالحب ولا بالجمال. هي رفيقة سمحة تهدىء بضحكها ثورة الغضب، وتعلمنا ان نسخر من الاشرار والحمقى الذين نبغضهم لولاها، والبعض ضعف يشيننا.»

بهذا يجيب اناتول فرانس في كتابه (حديقة ابيقور) بالنيابة عن صديقه السيد برجره، رداً على سؤال زوجته: «أهازل انت ام جاد؟»

برز اناتول فرانس الى ميدان السياسة سنة بُعثت قضية دريفوس التي شطرت فرنسة شطرين. فناضل بقلمه في الصحف السيارة وبلسانه في المجامع العامة، ناصراً العدل والحق بجنب زولا وجوريس. وكان من قبل

بعيداً عن ضوضاء الأحزاب، في عزلة الحكيم. فدلّ يومئذٍ على ان وراء هذه الشكوكية الهازئة روحاً شفيقاً لا يتردد، في سبيل المثل العليا التي تقدس اسم الانسان، عن تضحية تلك العزلة التي افاضت على الناس روائع الفن البديع. وكان خصمه في ذلك الميدان التعصب بمظهريه الديني والقومي فكسره شر كسرة. وانضم من بعد الى الحزب الاشتراكي ثم تقرب في النهاية من الشيوعيين مظهراً اعجابه بلينين وبرجال الانقلاب الروسي.

كل ذلك لم يمنع شارل موراس الدّ خصومه السياسيين وداعية الحزب الملكي الرجعي في فرنسة من كتابة حكم بليغ يشرّف كليهما على السواء، قال:

نحن منذ خمس وعشرين سنة نفر قليل لا يريدون ان يقابلوا الحرب بمثلها، فهم صامتون صمت عناد، وسط الجوقة التي ترتفع اناشيدها ضد اناتول فرانس؟ اتقاة واجلالا سكتنا؟ نعم، ربما. ولكنا سكتنا للعدل اولاً، للعدل الفكري الذي اوحى الى «بارس» الجليل مديحه لهذا الامام اذ احزنه ان يناقضه فقال: «كل ما تشاءون! ولكن اناتول فرانس حفظ اللغة

الفرنسية والأسلوب، والذوق، والروح الفرنسي.

فيصل واناتول فرانس.. اذا كان هذا الرسم الجميل رمزاً فماذا يعني الرمز، بل ماذا يودعه الآن فكري وانا انظر فيه؟

ماذا؟ اتقول انه رمز عن صلات الشرق بالغرب؟ لعلـه كـذلـك..الشرق والغرب اللذان قـال كبلنـغ الانكليزي في شعر مشهور انهما لن يجتمعا. والحق انها معضلة يتخبط في حلها كثيرون: غاندي وطاغور مثلاً.

نعم ولكن الهند من الشرق. اما هذا القطر السعيد فليس من الشرق، وليس من الغرب. ألم يقولوا انه بالاكثر طريق: من – الى، وبالاقل باب مفتوح تلجه البضاعة الاوروبية بانواعها مادية ومعنوية؟ ثم اليس عندنا الفئة القائلة: «هذه المعضلة هينة. نحفظ اخلاقنا وعاداتنا ونأخذ علمهم وصناعاتهم.» فأنت ترى ان المعضلة ليست بمعضلة.. نظرياً.

وبعد فلا اريد ان ارى في هذا الرمز الاّ الصفة الانسانية العامة التي لمؤلفات اناتول فرانس. اجل لقد حفـظ اللغـة الفرنسيـة والـذوق والاسلوب، والروح

الفرنسي. وهو في هذه الروضة الغناء - الخاصة - احسن ازهارها طيباً وارقها حاشية، بل يكاد فرانس وفرنسة يكونان في عالم الادب واحداً.. كل ذلك! لكن مؤلفات اناتول فرانس من جهة ثانية اجلى المرائي للطبع البشري الذي لا ينحصر في قطر ولا يختص بجيل. وهذه الصفة الانسانية - العامة - التي يتقبلها كل فكر ويأنس بها كل روح عاملٌ كبير في افضلة اناتول فرانس على معاصريه من ائمة الادب الفرنسي: لوتي وبارس مثلاً. وهي التي جعلت الملايين من الخلق في انحاء المعمورة يشعرون، اذ اتاهم نعيه، بان هذا النبأ لامس منهم صلة نسبٍ بنوي.

آراء اناتول فرانس

ليس بدعاً ان نقول ان سوء الاختيار ضروري لوجود الاكاديمية الفرنسية. فلو كانت لا تؤدي في انتخاباتها قسط الضعف والخطأ ولا تتظاهر احياناً بأنها تأخذ اعضاءها اتفاقاً لجعلت ذاتها بغيضة الى حدّ انهـا لا تستطيـع ان تعيش، ولكـانـت في الآداب الفرنسية كالمحكمة وسط المجرمين. لو كانت معصومة لأصبحت ممقوتة: ما اشد الاهانة على الذين تردُّهم لو كان من يقع عليه اختيارها هو الافضل دائماً. يجب على ابنة ريشيليهان تتظاهر بشيء من الخفة لئلا تحسب وقحة. انّ ما ينجيها هو ان لها خواطر واهواء. براءتها في انها غير عادلة، ولأنا نعهدها متقبلة فهي قادرة على ان تصدنا دون ان تجرحنا. ان في بعض انتخاباتها ما يجرد الحسد من سلاحه، ثم اذا بها وقد ايأستك من امرها تثبت انها ذات حيلة وانها حرة بصيرة. حقاً، ينبغي ان نحسب في شؤون

البشر كلها حساب المصادفة.

★

★ ★

ان الأوساط يسودون في الأكاديمية واين لا يسود الاوساط؟اتراهم اضعف سلطاناً في البرلمانات ومجالس التاج حيث هم في غير موضعهم بلا جدال ؟ ولكن هل يجب ان تكون رجلاً نادر المثال لتشتغل في معجم يريد ان يعين الاستعمال ولا يستطيع الاّ اتباعه؟

★

★ ★

يتمسك الشيوخ بأفكارهم اكثر مما يجب. لهذا كان سكان جزر فيجي يقتلون آباءهم اذا شاخوا. انهم يمهدون سبيل النشوء على حين اننا نعوق سيره بتأليف الاكاديميات.

في اعمال البشر كلها احد عاملين: الجوع والحب. لقد علَّم الجوع المتوحشين ان يقتلوا وان يخوضوا غمار الحروب والغارات. اما الشعوب المتمدنة فهي ككلاب الصيد: تهيجهم غريزة فاسدة الى الهدم بلا سبب او

جدوى. ويُدعى جنون الحروب الحديثة مصلحةً ملكية او مبدأ قوميات او توازناً اروبياً او شرفاً. ولعل هذا العامل الأخير ابعدها عن المعقول، اذ ما من امةٍ الاّ احتملت كل المهانات التي قدّر لجماعة من الناس ان تنزل بساحتهم. وعلى كل إن كانت لا تزال عند الشعوب بقية شرف فأعجب الوسائل الى صيانتها اشعال نار الحرب اي ارتكاب كل الجرائم التي تعرّي الفرد من شرفه: الحرق والنهب والقتل وهتك الاعراض. اما الاعمال التي يوحي بها الحب فهي عنيفة جنونية فظيعة بقدر الاعمال التي يوحي بها الجوع حتى يحق القول ان الانسان وحش شرير.

اذا سموت يوماً فوق طبيعتك وبلغت الى معرفة ذاتك ومعرفة الذين حولك أيقنت ان الناس لا يأتون عملاً الاّ مراعاةً لرأي الناس وهم بذلك اشد المجانين جنوناً: يخشون ان يلاموا ويودون ان يمدحوا.

★

★ ★

الارواح لن ينفذ بعضها الى بعض.

لو كنا ندرك اشكال النفوس كما ندرك اشكال الهندسة لما خالطنا عداء لعقلٍ ضيق الاّ بمقدار ما يعادي رياضيّ زاوية يعوزها خمس درجات او ست لتكون لها خصائص الزاوية القائمة.

★

★ ★

آراؤنا في الحب كآرائنا فيما سواه: تقوم على عادات سالفة تكاد تمّحي ذكراها. في دائرة الاخلاق تجد الأوامر والنواهي التي فقدت علة وجودها، والفروض والواجبات التي لا طائل تحتها، والالزامات التي بلغت في الفظاعة غاية لا غاية بعدها. لكنها مبجلة محترمة لأنها عريقة في القدم تكتنف منشأها الاسرار: لا تُنال بجدلٍ او اعتراض او تمحيص بل انك تخالفها الاّ تعرضت لاشد اللوم والتقريع. ان الآداب الخاصة بعلاقات الجنسين قائمة على هذا المبدأ: متى أُخذت المرأة اصبحت ملكاً للرجل كجواده وسلاحه والآن وقد بطل هذا المبدأ فلا يزال سبباً لبعض الامور العارية عن المنطق كالزواج مثلاً: الزواج عقد بيع امرأة لرجل يتضمن بنوداً لتحديد الملكية

ادخلت منذ اخذ الوهن يطرأ على المالك.

★

★ ★

في جميع الفنون لا يصور الفنان الاّ نفسه: آثاره، ايّاً كان الثوب الذي يخلعه عليها، معاصرة له بالفكر. ماذا يعجبنا في الكوميديا الالهية ان لم يكن نفس دانتي الكبيرة؟ ورخام ميكال آنج ماذا يمثل من الخوارق ان لم يكن ميكال آنج بذاته؟ اذا كنت فناناً منحت بدائعك ما فيك من حياة والاّ فأنت تقتطع الاعيب كالتي يحبها الأطفال.

★

★ ★

من الخرق ان يقتــل رجــل امرأة. والرجــال القادرون على هذه المجزرة لا مراء في انهم لا يطاقون اصلاً. لو سلمنا بأنهم ليسوا مصابين بالجنون المطبق فيجب ان يكونوا قليلي النعمة في عقولهم والليونة في أفهامهم. واحسب انهم يظلون ثقلاء قساة حتى في حجر السعادة لأن انفسهم لا تدرك تلك الفروق الدقيقة الفتانة التي ما فقدت الاّ كان وجه الحب اغبر

داعياً الى السأم.

★

★ ★

لسنا نألو جهداً في محاولتنا ان ننفذ الى المستقبل الذي لا يُنفذ اليه. ونعمل لذلك بكل قوانا وبكل ما اوتينا من الوسائل. نحسب اننا سنبلغ اليه بالتأمل حيناً وبالصلاة والوجد حيناً. يسأل بعضنا وحي الآلهة ولا يخاف البعض الآخر اتيان المحرمات فيسأل عرافي كلدة او يجرب طوالع بابل. يا للفضول الباطل الكفور! ماذا تجدي معرفة المستقبل ولا مفر من المستقبل؟

★

★ ★

لم يقل الاقدمون عن عبث: ان القدرة على اختراق حجب المستقبل شر موهبة ينالها المرء. لو جاز لنا ان نرى ما سيأتي اذاً لما بقي لنا الاّ ان نموت، بل لربما سقطنا مصعوقين الماً ورعباً. المستقبل! يجب ان نشتغل به كما يشتغل النساجون دون ان يروا الطراز الذي يوشون.

الحقيقة هي ان البشر لا ينظرون بعيداً الى الأمام الاّ وجلين. ويعتقد كثير منهم ان هذا الاستقصاء ليس باطلاً فحسب بل هو سيء ايضاً. والأقربون الى الاعتقاد ان من المستطاع الاطلاع على شؤون المستقبل هم الأشد خوفاً من اكتشافها. لا ريب في ان وراء هذا الخوف دواعي بعيدة الغور فإن النظم الأخلاقية والدينية اتت بكشوف عن اقدار البشر. واكثر الناس، سواء أعترفوا ام كتموا انفسهم، يخشون ان تتحقق هذه الكشوف القدسية فيجدوا باطل آمالهم. لقد الفوا تصور اشد العادات والاخلاق اختلافاً عن عاداتهم واخلاقهم لأنها عريقة في القدم، وهم يغبطون انفسهم على تقدم الأخلاق. ولكن لما كان نظامهم الاخلاقي بالجملة قائماً على عاداتهم فهم لا يجرؤون على الاقرار بأن النظام الاخلاقي الذي ما فتىء يتبدل بتبدل العادات قبل ان يصل اليهم سوف يتبدل من بعدهم ايضاً، وان رجال المستقبل قد يرون غير رأيهم فيما هو حلال وحرام. يخيفهم الإقرار بأنه ليست لهم الاّ فضائل متحولة وآلهة طاعنة في السن وتراهم يخالون انفسهم مخدوعين اذا توقعوا ان تتخذ

البشرية حقوقاً وواجبات وآلهة غير التي عرفوها رغم تلك الفروض والحقـوق المتقلبة المتبدلة التي عرضها الماضي لانظارهم. وبالنهاية انهم يخافون ان يعابوا في اعين معاصريهم اذا اثبتوا تلك «اللااخلاقية» الشنعاء التي ستكون «اخلاقية» المستقبل. هذه ايضاً موانع عن العمل لمعرفة المستقبل.

★

★ ★

نحن نضع اللانهاية في الحب: ليس هذا ذنب النساء.

★

★ ★

حب الرجال دنيء لكنه قد يسمو الى ذرى الآلام فيوصل الى الله.

★

★ ★

اذا أحببتِ واحببتِ فاصنعي ما ترين ان تصنعي

ولكن لا تمزجي بالحب المصالح والشؤون التي لا شأن للحب معها.

★

★ ★

سيعفى عن ذنوب الحب ان المرء لا يذنب متى احب. لكن الحب الشهواني يقوم بعناصر البغض والاثرة والغضب بقدر ما يدخل فيه من عنصر الحب.

★

★ ★

ما من حب حقيقي الاّ فيه اثر من الشهوانية.

★

★ ★

لا يحب المرء، حقيقة، الاّ اذا احب لغير علة.

★

★ ★

ان ما يجعلك تشتهي وتحب لقوة لطيفة هائلة اكبر سلطاناً من الجمال. يجد الرجل امرأة بين الف؛ فإذا اخذها لم يستطع قط ان يدعها وهو يريدها ابداً ولن

يزال. ان زهرة جسدها هي التي ترمي بداء الحب الذي لا بُرء منه بل شيء آخر لا يمكن الإفصاح عنه هو روح جسدها.

★

★ ★

يحب المرء لانه يحب ورغم كل شيء.

★

★ ★

من العبث البقاء في هذه الدنيا متى اصبحت عاجزاً عن ان تحب.

★

★ ★

المرأة المحبة لاتخاف جهنم ولا ترغب في الجنة.

★

★ ★

هو الحب الذي يهب الاشياء جمالها.

★

★ ★

لنا الحبُّ في هذه الدنيا ولكن ثمنه الموت. لو لم يكن حتماً علينا ان نموت لما امكن تصور الحب.

★

★ ★

الحياء خطيئة كبيرة نحو الحب.

★

★ ★

لا يعُطى الحب كما تعطى جائزة الفضيلة. ولن تقتل دناءة المرأة شعورك نحوها بل ان دناءتها قد تحييه.

★

★ ★

ان هذا الحيوان البشري مركب على ان لا يكون فاضلاً عفيفاً الا بعيب فيه.

★

★ ★

الجمال يحفظه الحب، وجسد النساء يتغذى بالقبل كما يتغذى النحل بالأزهار.

★

★ ★

من شؤون الحب ما تأتيه المرأة بغير مبالاة، لاهيةً عنه، بغريزة المرأة وبفعل العادة والروح التقليدي، لتجرب سلطانها ولتسر بمشاهدة آثاره.

★

★ ★

نريد ان يحبنا الرجال فإذا احبونا عذبونا او اسأمونا.

★

★ ★

آه! ليس هيناً على المرأة ان تقول ما تحب وما لا تحب.

★

★ ★

اني لتروعني السرعة التي قد يفسد بها الرجل الفاضل

★

★ ★

لا يحب النساء حباً حقاً الا اناني.

★

★ ★

لا يعرف السعداء كثيراً من امر الحياة - فان الالم هو مربي الانسانية الاكبر علمها الفنون والآداب والشعر واوحى اليها بالبطولة وبالرحمة. وهو الذي يجعل للحياة قيمة اذ يتيح لنا ان نقدم الحياة قرباناً: الالم المحسن الذي يضع اللانهاية في الحب.

★

★ ★

اولى لك ان تكون المخدوع احياناً، فقد علمتنا الحياة ان المرء لا يكون سعيداً الا بقليل من الجهل.

★

★ ★

أمن المستطاع ان تعزي محزوناً دون كذب؟

★

★ ★

امرأة محجبة تمشي في سبيلها منذ وجدت الدنيا: يدعونها الملانخوليا.

★

★ ★

سواء أعلم المرء او لم يعلم فهو يتكلم. ليس يُعلم كل شيء ولكن كل شيء يقال.

★

★ ★

كتبي يا كتبي!. لا يقول احد في كتابه شيئاً مما يود ان يقول. وما كان لامرىء ان يعرب عن مكنونات نفسه. نعم انا قادر كغيري على ان احدث بقلمي. ولكن ما الكلام وما الكتابة؟ سخافة اي سخافة! لو فكرت في هذه الاشارات التي تتألف منها المقاطع والكلمات والجمل لأشفقت! ماذا يبقى من الفكر الجميل تحت هذه الهيروغليفات الغريبة المألوفة معاً؟ ماذا يصنع القارىء بالصفحة التي اكتبها؟ سلسلةً من معـــانٍ مغلوطـــة ومن معـــانٍ معكوسة ومن «لا معاني». ليس المرء اذ يقرأ ويسمع الا مترجماً. وقد توجد ترجمات حسنة ولكن لن توجد ترجمات أمينة. ماذا يهمني ان يعجبوا بمؤلفاتي اذا كانوا لا يعجبون الا بما يضعونه فيها؟ ان كل قارىء يبدل برؤيانا رؤياه وغاية ما في الامر انا نعطيه سوطاً يهيج مخيلته.

★

★ ★

لن تزالي يا حبيبتي لغزاً معناه المجهول ملذات الحياة واهوال الموت. لا تخشي ان تعطيني نفسك. ساشتهيك ابداً وساجهلك ابداً. هل قُدر لامرىء ان يملك المرأة التي يحب؟ وهل كانت القبل الا جهوداً يبذلها يأس ناعم؟ اني اذا ما ضممتك الى صدري لا افتأ اطلبك. لن احوزك قط لاني فيك اطلب المحال واللامتناهي.

★

★ ★

ليس في هذه الحياة اجمل من الاهواء. لكنها خرقاء والحب اجملها وابعدها عن الصواب.

★

★ ★

لا ننسَ ان الجمال من فضائل هذه الدنيا.

★

★ ★

ان الاشياء الجميلة محببة الى النفس لانها تزين الحياة. والشيء الجميل يوازي عملاً من اعمال الخير.

بل من اعمال الخير ان تؤلف باقة زهر جميلة.

★

★ ★

ليس في الدنيا ما هو اكبر سلطاناً من الجمال.

★

★ ★

لو خُيرت بين الجمال والحقيقة لما ترددت بل اخترت الجمال يقين انه يحمل حقيقة اعلى وابعد غوراً من الحقيقة عينها. واجرؤ على القول انه لا حق في الدنيا الا ما هو جميل. الجمال اسمى كشفٍ عن الالهي اذن لنا ان نعرفه.

★

★ ★

ايسر عليك ان تعد بسعادة كبرى من ان تعطيها.

★

★ ★

الرقص صلاة...

★

★ ★

انا افهم كل شيء ولكن من الاشياء ما تعافه نفسي.

★
★ ★

ما يبدو لنا انه حسن فهو حسن وما يبدو لنا انه قبيح فهو قبيح. ليس الشر على الحقيقة الا في بذل الجهد وعدم الرضى. اذن فلا نجهدْ قوانا ولنكن راضين. لا نضرب الاشرار لئلا نصبح مثلهم. واذا اسعدنا الحظ بان نكون فقراء بالفعل فلا نجعل انفسنا اغنياء بالفكر، متعلقي القلوب بمتاع الدنيا مخافة ان نشقى او نظلم الناس. لنصبر على الاضطهاد ولنكن كؤوس الحب التي تحيل ما يصب فيها من سم زعاف بلسماً شافياً.

★
★ ★

ليس الخير في الانسان ولا يدري الانسان ما هو خير لانه لا يعرف طبيعته ولا ما يراد به. قد يكون الشر فيما يراه خيراً والضرر فيما يراه نفعاً. هو عاجز عن اختيار ما يصلح له لانه لا يعلم ما هي حاجاته.

كالطفل الصغير الذي يجلس في البرية فيمتص حشيشة الحمرة غير عالم انها سم لكن امه تعلم. لذلك فالخير كله هو ان يعمل المرء بمشيئة الله.

★

★ ★

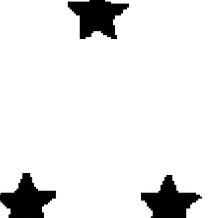
يورث كل تبدل يطرأ وان تمنيناه كثيراً حزناً وغماً لان ما نتركه جزء منا ينبغي ان نموت في حياة لندخل حياة اخرى.

★

★ ★

لا اعتقد ان البشر اخيار بالفطرة. وارى انهم، على الضد من ذلك، لا يخرجون من وحشيتهم الاولى الا ببطء وجهد، لينظموا نظامي عدل غير اكيد وخير غير دائم. ولا يزال بعيداً الزمن الذي يصبحون فيه وادعين يعطف بعضهم على بعض، ولا تقاتل امة منهم بل تخبأ الصور التي تمثل الحروب لانها منافية للاخلاق الحسنة يخجل منظرها الناظرين. وارى ان ملكوت العنف سيدوم طويلاً وان الشعوب لن يكف احدها عن تمزيق الآخر لاسباب تافهة، وان أبناء الشعب

الواحد سيسلب بعضهم بعضاً القوت الضروري بدلاً من ان يتقاسموه قسمة عادلة. ولكني على يقين من ان البشر اقل وحشية وفظاظة اذا كانوا أقل بؤساً وشقاء، وان ترقي الصناعة سيؤدي في النهاية الى تلطيف الطباع. لقد قال لي عالم نباتي ان شجر البوت اذا نقل من ارض جرداء الى ارض خصبة تبدل بشوكه زهراً.



لا اخشى القول اننا لا نفهم اليوم بيت شعر من الالياذة والكوميديا الالهية بالمعنى الذي ارادوه في الاصل. الحياة تبدل مستمر، وحياة افكارنا الباقية بعد موتنا لا تخرج من سلطان هذا الناموس: ليست باقية الا بشرط ان تبعد رويداً رويداً عما كانت اذ ولدتها نفوسنا: وسيعجب الناس منا ما هو غريب عنا.



ان الحقائق التي يهتدي اليها العقل عقيمة. والقلب

وحده قادر على ان يجعل احلامنا منتجة، اذ يفيض حياة على كل ما يحبه. بالعاطفة تبذر بذور الخير في الدنيا ولم يؤت العقل هذه القدرة. اذا شئت ان تنفع الناس فاطرح العقل كما تطرح متاعاً مربكاً يعوق سيرك وارتفع باجنحة الحماسة. اما اذا تعلقت فلن تحلق في السماء.

★

★ ★

من الحسن ان يكون القلب ساذجاً والفهم غير ساذج.

★

★ ★

الاعتراف حاجة في النفس لا تغلب.

★

★ ★

لا مراء في ان جسم المرأة اقل جمالاً من جسم الرجل لانه يضم نفساً اقل حسناً من نفسه. النساء عابثات مخاصمات منصرفات الى السفاسف عاجزات عن

حمل الافكار السامية وعن اتيان الاعمال العظيمة، وكثيراً ما يعمي المرض بصائرهن.

ومع ذلك فقد كان في رومة واثينة عذارى وامهات ترأسن عن جدارة الاحتفالات الدينية ورفعن القرابين الى المذابح. وفي الآلهة من اصطفوا العذارى لتلقي وحيهم وكشف حجب المستقبل لأعين الناس. هذه (كاساندر) زينت رأسها بعصائب (ابوللون) وتنبأت بهلاك اهل طروادة. وهذه (جوترنا) خلدها غرام إله اذ عهد اليها بحراسة الينابيع في رومة.

★

★ ★

ليقل لومبروزو ومودزلي ما شاءآ فقد يكون امرؤ مجرماً دون ان يكون مجنوناً او عليلاً. في الاجرام بدأت الانسانية حياتها. وكان الاجرام قبل التاريخ قاعدة لا مستثنى ولا يزال كذلك في عصرنا عند جماعة المتوحشين. يمكن القول انه كان والفضيلة واحداً بالاصل ولما ينفصل عنها في ظهراني زنوج افريقية الوسطى. كان الملك (متزا) يقتل كل يوم ثلاث نسوة او اربعاً من حريمه. وامر ذات يوم بقتل

احداهن لانها أهدته زهرة. ثم اتصل الملك متزا بالانكليز فأظهر ذكاء نادراً واستعداداً عجيباً لفهم افكار المتمدنين.

كيف لا نقر بهذا كله وهذه الطبيعة نفسها تعلم الاجرام؟ يقتل الحيوانات بعضها بعضاً، لافتراسها او بعامل الغيرة المحنقة او لغير علة. فمن الحيوان اذن مجرمون: ان ضراء النحل مخيف. وكثيراً ما تفترس الارانب صغارها، والذئاب يأكل بعضها بعضاً، خلافاً لما في الامثال. لقد شوهدت اورانغ اوتانغ انثى تقتل عذولة لها هذه جرائم، فاذا كانت العجماوات التي ترتكبها غير مسئولة عنها فالطبيعة احرى ان تتهم بها: ان الطبيعة جعلت الانسان والحيوان في حالات من البؤس لا تطاق.

ولكن لله! ما اسمى هذا الجهد المنصور الذي يبذله الانسان ليتحرر من قيود الاجرام العتيقة. وما اعظم صرح الآداب الذي يشيده حجراً حجرا! لقد نظم البشر العدل تدريجاً فأصبح العنف حالة استثنائية بعد ان كان في العصور السالفة قاعدة. اصبح داء من الادواء وشيئاً لا يمكن التوفيق بينه وبين الحياة كما

عملها الانسان بفضل صبره وشجاعته. لا يتسرب الاجرام الى مجتمع الا قرضه قرضاً واكله اكلاً.. كان المغـذي الاول لاهـل الكهوف فـاصبـح اليوم سجن البؤساء الذين يطلبون العيش فيه.

القتل عادة في الحيوان ولا سيما في الانسان. كان الرأي في الجماعات الانسانية الاولى انه عمل جليل وما زال في آدابنا واوضاعنا آثار من ذلك الاجلال الماضي.

★

★ ★

بأي حق تسأل المرء ان يضحي حياته اذا سلبته الامل في حياة اخرى؟

★

★ ★

وبالجملة فان النقد لا قيمة له الا قيمة الناقد فكلما كان ذاتياً كان ابلغ في تشويق القارىء واغرائه.

ان النقد كالفلسفة والتاريخ نوع من القصص تنتفع به العقول الراجحة المتطلعة الى المعرفة. وكل

قصة على الحقيقة سيرة يكتبها القصصي عن نفسه. وخير ناقد من يقص عليك حوادث روحه ووقائعها بين آيات الفن.

لا يوجد نقد موضوعي، وهؤلاء الذين يباهون بأنهم يضعون في فنهم شيئاً غير انفسهم مغترون بأشد الاراء خطلاً. فان المرء لا يخرج من ذاته، وفي هذا العجز احدى خصاصات بني الانسان. اي شيء لا نعطيه كي نرى، ولو دقيقة واحدة، السماء والارض بعيني ذبابة، او كي نفهم الطبيعة بدماغ قردٍ خشن؟ لكن هذا محظور علينا، فليس احدنا بقادر على ان يكون مثل (تريزياس) رجلاً يذكر انه كان امرأة. كلنا سجين، كأنه من ذاته في سجن ابدي، وخيرما نصنع هو ان نقرّ مختارين بهذه الحالة الرهيبة وان نحدث عن انفسنا كلما اعيانا الصمت.

ان النقد هو آخر انواع الادب ظهوراً، ولعله سيتمثلها ويحتويها جميعاً، لانه ملائم احسن ملائمة لهذا المجتمع الذي ادرك في المدينة شأواً بعيداً، فأصبح غنياً بالذكريات قديم عهد بالتقليدات . وهو خير ما تمنحه الانسانية المثقفة المهذبة المتطلعة. ولكن ينبغي

ليكون نافعاً ان يقوم بثقافة اوسع مما تقتضيه الانواع الادبية الاخرى. هذا النقد الذي اوجده سان افرمون وبايل ومونتسكيو متصل بالفلسفة والتاريخ على السواء، لم ينم نموه الا لانه نشأ في عصر كانت حرية الفكر فيه مطلقة، فحل محل العلم الألهي. واذا بحثنا عن الامام الاكبر في القرن التاسع عشر لم يذهب الفكر الا الى (سنت بوف) اولاً وآخراً.

★

★ ★

لو وفقنا الى معرفة كل ما في الكون من اسرار لاصابتنا سآمة لا شفاء منها.

★

★ ★

اذا اعجبت جماعة من الناس بكتاب فأبدى كل واحد سبب اعجابه، انقلب الاتفاق خلافاً وشقاقاً. فإن القراء يرضون في الكتاب الواحد عن اشياء متضادة لا يمكن ان توجد جميعاً فيه.

★

★ ★

من المؤلفات الممتعة التي لم تؤلف بعد كتاب في تاريخ التبدلات الطارئة على نقد احدى الطرف الادبية التي شغلت الاذهان كثيراً كهملت والكوميديا الالهية والالياذة.

★

★ ★

مما يلاحظ في فرنسة ان المبتلين بالصمم يكثرون بين نقاد الموسيقى كما ان المبتلين بالعمى يكثرون بين نقاد النحت والتصوير. ولعل هذا مما ييسر لهم الانصراف الكلي الى مسائل الفن.

★

★ ★

ماذا يهمك ان تعلم بم يؤمن؟ فالمهم هو أن يؤمن
وماذا يهمك ان تعلم فيم يؤمل؟ فالمهم هو ان يؤمل.

★

★ ★

من الحمق العظيم ان تحتقر خطراً يهددك.

★

★ ★

لعل الفضول رأس الفضائل الانسانية. نريد ان نعلم وان يكن مقدراً علينا ان لا نعلم شيئاً. ولكننا على كل نعارض اللغز الكوني الذي يكتنفنا بتفكير مستمر وابصار جريئة. وليس لكل اقيسة الجدليين ان تشفينا لحسن الحظ من هذا القلق الشديد الذي يثير نفوسنا امام المجهول.

★

★ ★

ان الشهوات اقوى من الارادات فهي التي خلقت الدنيا ولا تزال تحملها.

★

★ ★

في احتضار الآلهة مدعاة حزن لا ينتهي.

★

★ ★

من فرج النفوس ان يبدل اسم المجهول زمناً بعد زمن.

★

★ ★

ليس الآلهة بخالدين اكثر من الناس.

★

★ ★

اذا كان الجمال ظلا فليست الشهوة الا برقاً. فلماذا تزعم ان اشتهاء الجمال جنون؟ اليس معقولاً ان ينضم ما يزول الى ما لا يدوم وان يأكل الشعاع الخلب الظل الزاحف؟

★

★ ★

في الهموم تسلية عظيمة.

★

★ ★

ليس التعليم الاّ فناً يوقظ به التطلع في النفوس الفتية ثم يكفى ويعطى حاجته. ولا يكون التطلع حياً صحيحاً الا في النفوس الهانئة الراضية. فان المعارف التي تحشر في الافهام عنوة وقسراً تسدها وتخنقها. يجب ان تؤكل المعرفة بشهية لتهضم.

★

★ ★

مذ علمت ان الكائنات ليست الا صوراً متحولة في الوهم الكوني العظيم اصبحت وبي ميل الى الوداعة والحزن والرحمة.

★

★ ★

يختلف كل مخلوق بشري باختلاف الناظر اليه حتى انه ليصح القول ان المرأة الواحدة لم يأخذها رجلان قط.

★

★ ★

ينتج الخطأ عن ضعف في الخلق اكثر مما ينتج عن ضعف في الادراك.

★

★ ★

في الصبيات طموح فطري الى قطف الازهار والنجوم ولكن النجوم لا تمكن احداً من قطفها: هكذا يعلمن ان في الدنيا رغبات لن تكفى.

★

★ ★

لا وجود للزمان والمكان، ولا وجود للمادة. ان ما نسميه بهذه الاسماء هو ما لا نعرفه، اعني الحاجز الذي تنحطم عليه حواسنا. نحن لا نعرف الا وجوداً واحداً هو الفكر فالفكر يخلق العالم. ولو لم يزن الفكر نجم (سيريوس) ويسمه باسمه لما وجد (سيريوس).

★
★ ★

ينمو روح النقد في حالات خاصة نادرة دون ان يحدث اثراً بليغاً في عقائد البشر، لانها غير خاضعة لحكم العقل. قد تكون فاسدة ولكن فسادها لا يجردها من السلطان الذي تخضع له النفوس. ومن الاقوال الشائعة ان فيها عزاء وسلوى ولكن لو تدبرنا الامر لعلمنا ان الناس في الاغلب يفيدون منها لذة اقل من الخوف الذي يمسهم.

★
★ ★

اجل، ان الذرات الكيموية التي اجتمعت لتؤلف هذه المرأة تعرض على الانظار مجموعة جميلة. لكن هذا لهوٌ من الطبيعة ولا تعلم الذرات ما هي صانعة.

وستفترق ذات يوم بمثل عدم المبالاة الذي اجتمعت بـه. اين الـذرات الـتي تـألفـت منهـا لاييس وكليوباطرة؟.. انا لا اعارض في ان من النساء بارعات الجمال لكنهن جميعاً خاضعات لضروب من التشويه وللحالات تعافها النفس. هذا ما يراه ذوو النظر على حين ان عامة الناس لا يعيرونه التفاتاً. ان النساء يوحين بالحب وان يكن من الخطل حبك اياهن.

★

★ ★

اما ما نعلمه من امر المرأة التي نحبها، ونوفق الى حله من أحجيتها، وننفذ اليه من خفايا نفسها.. الحقيقة هي ان النصبة المتحركة والمرأة الحية في هذا الامر سواء.

★

★ ★

كل شيء يسخر منا : السماء والكواكب، والمطر والنسيم، والظل والنور، والمرأة.

★

★ ★

احسب انه ليس في الدنيا ما يحكي سرعة نسيان المرأة واعني نسيانها ما كان في نظرها كل شيء. ان المرأة، بما اوتيت من قدرة على ان تنسى وان تحب، لقوة من قوى الطبيعة.

النظر الى امرأة حسناء نعمة كبرى على الرجل الفاضل.

★

★ ★

علمنا من اقدم الازمنة ان آلهة النساء ليسوا من الشدة في شيء بل انهم متحلون بعفو غير متناه عن خطيئات القلب والحواس.

★

★ ★

لقد بلغت السنّ التي يعوز المرأة فيها ان تكون معشوقة كي تظل جميلة.

★

★ ★

ليقل (لافونتين) ما شاء. فان الارنب يسبق

السلحفاة دائماً كما ان النبوغ يفوز على حسن الارادة.

★

★ ★

ليس لبني آدم في حياتهم الا همّان اثنان: - الجوع والحب.

★

★ ★

الانسان نبات تقتله العواصف اذ تقتلعه.

★

★ ★

الانسان في جوهره حيوان احمق، وليست ترقياته العقلية الا جهود قلقه الباطلة.

★

★ ★

لو كنت خالق الرجل والمرأة لما خلقتهما على الصورة التي نعرفها، صورة ذوات الثدي العليا او القرود، كما هما في الواقع. بل كنت اخلقهما على صورة الحشرات التي تعيش اولاً في شكل الديدان ثم تتحول

الى فراشات لا همَّ لها في آخر العمر الا ان تحب وتكون جميلة... ولكنت اذن اجعل الشبيبة في نهاية الانسانية. ان لبعض الحشرات في آخر تحولاتها اجنحة وليس لها معدة. ولا يعاد خلقها ثانية على هذه الصورة المطهرة الا لتحب ساعة وتموت بعدها.

★

★ ★

كيف السبيل الى الاعتقاد بأن الافكار الدينية تصلح الاخلاق وهذا تاريخ الشعوب المسيحية نسيج من الحروب والمذابح والاضطهادات؟ لا اخالك تطمع في ان يكون احدنا احسن تقوى من أبناء الاديرة. اذن فهذه طوائف الرهبان على اختلاف انواعها: السود والبيض والكبوشيين وهلمجرا، سواء في انها ارتكبت ضروب الجرائم الفظيعة. كان قضاة ديوان التفتيش وكهنة العصبة الكاثوليكية متورعين، وكانوا ايضاً قساة الاكباد. ولست محدثاً عن البابوات الذين لطخوا العالم بالدم حتى ليشك المرء في انهم كانوا يؤمنون بحياة اخرى. الحقيقة هي ان البشر حيوانات شريرة وانهم يظلون اشراراً اثناء افتكارهم بالعبور من هذه

الدنيا الى الآخرة.

★
★ ★

النساء والاطباء وحدهم يعلمون ان الكذب ضروري فيه منافع للناس.

★
★ ★

المصيبة افضل معلم وخير صديق، فهي التي تهدينا الى معنى الحياة.

★
★ ★

ربَّ رجل يقتحم الموت غير وجل ولا يجرؤ على التفرد برأي في الاداب.

★
★ ★

لم يأت زمن تبدلت الاداب والافكار فيه طفرة. فان اعظم التبدلات الطارئة على الحياة الاجتماعية تحصل دون ان يشعر بها احد، ولا ترى الا عن بعد.

كذلك لا يعيرها الذين يجتازونها اقل التفات.

★

★ ★

لا يمكن تصور العالم الا رمزاً، وما فيه مجازات من القول يتهجاها الرجل العامي دون ان يفهم لها معنى.

★

★ ★

في اعماق قلوبنا جميعاً ميل الى الاعاجيب. يحبها احسننا تفكيراً دون أن يؤمن بها، وليس حبه اقل من حبنا اياها. اجل، نحن مغرمون بالاعاجيب غرام اليائس وان كنا نعلم انه لا وجود لها، علم يقين - بل هذا وحده ما نعلمه علم يقين. فان وجدت الاعاجيب لم تكن اعاجيب، لان الشرط فيها ان لا توجد: لو عاد الاموات لكان امراً طبيعياً لا امراً عجيباً ان يعود الاموات. ولو امكن تحول البشر الى حيوانات، مثل (لوسيوس) في الاقاصيص القديمة، لكان هذا التحول طبيعياً ولما ادهشنا باشد من تحول الحشرات. لا سبيل الى الخروج من الطبيعة، وفي هذا اليقين من

موجبات اليأس ما فيه. ان الممكن لا يكفينا فنحن نطلب المستحيل، ولكن المستحيل هو ما لا يتحقق ابداً.

*

* *

هذه الدنيا تنغص عليَّ رجائي في الاخرة. اخشى ان تشبه تلك هذه وهو عيب كبير يؤخذ عليها.

*

* *

هذا الكون، كما كشف العلم عنه، يورث سأماً قاتلاً فإن كل الشموس قطرات من النار وكل السيارات قطرات من الوحل.

*

* *

كلما اعجبنا بعظمة السماء ينبغي ان نعجب ايضاً بصغرنا. فان على حقارتنا تتوقف جلالة الكون. ليس الكون في ذاته صغيراً او كبيراً، فلو كان يصغر فجأة حتى يصير كرأس الدبوس لما استطعنا ان نفطن الى

ذلك. ثم ان نظرية الزمان متصلة بنظرية المكان، فلو جاز، في هذا الافتراض ايضاً، ان تطفأ كل شموس المجرة والسديم بمثل السرعة التي تنطفىء بها شرارة السيكارة، اذاً لما بدا لاجيال البشر جميعاً ان الاعمال والايام والمسرات والاحزان قد نقصت دقيقة واحدة.

★

★ ★

في كل رأي باطل شر مستطير. يحسب بعضهم ان الحالمين ايقاظاً لا يسيئون قط وهو حسبان خطأ. فان ابعد التخيلات عن الاساءة في الظاهر قد تحدث في الحقيقة اسوأ فعل، لانها تبعث في النفوس كراهة الواقع والاشمئزاز من الموجود.

★

★ ★

ان اسطع الحقائق جعجعة لفظية باطلة عند الذين يكرهون على قبولها. أتريد اكراهي على قبول ما تفهم انت وما لا افهم انا؟ انك اذاً جاعلٌ فيَّ لا شيئاً مفهوماً بل شيئاً غير مفهوم.

الحقيقة كالشمس لا يراها الا من كانت له عين النسر

★

★ ★

لا يصل المرء الى اسمى الحقائق واطهرها بحسن التفكير بل بقوة الشعور. ولما كانت النساء اقوى شعوراً من الرجال فان سموَّهن الى اكتناه الحقائق الربانية ايسر.فيهن موهبة النبوة: وهل كان تمثيل ابوللون السيتاري ويسوع الناصري في ثياب فضفاضة كالنساء - عن عبث؟

★

★ ★

ليس موضوع الفن الحقيقة. ينبغي ان تطلب الحقيقة في العلوم لان موضوعها الحقيقة، ولا ينبغي ان تطلبها في الادب الذي لا يصح ان يكون موضوعه شيئاً غير الجمال.

★

★ ★

ليست الحقائق العلمية محببة الى قلوب العامة. فإن الشعوب تحيا بالميثولوجيا وتتناول من الاساطير كل مبادىء العرفان التي تحتاج اليها، وقليلة ما هي: ان بضع اكاذيب كافية لاسعاد ملايين من الناس. وبالجملة ليس للحقيقة سلطان على البشر، ولوكان لها سلطان لكان هذا مدعاة اسف، لان الحقيقة مضادة لطبيعتهم بقدر ما هي مضادة لمصالحهم.

★

★ ★

من الخطأ الفاحش الاعتقاد بان الحقائق العلمية تختلف في جوهرها عن حقائق العوام. فانها لا تختلف عنها الا من حيث الاتساع والدقة. وهذا من الوجهة العملية فرق جسيم، ولكن لا ننس ان تحقيق العالم ينتهي عند ظاهر الحادثة دون ان ينفذ الى جوهرها او يمسك بطرف من طبائع الاشياء. هذه العين وان تكن مسلحة بالمجهر لن تزال عين انسان: تبصر اكثر من العيون العزلاء ولكنها لا تبصر بشكل آخر. وقد يكثر العالم من بيان صلات الانسان بالطبيعة ولكنه عاجز عن اكتناه جوهر هذه الصلات، وقد يرى العالم

كيف تحدث بعض الحادثات التي تغيب عنا ولكن يحظر عليه ما يحظر علينا من معرفة علة حدوثها.

اذا طلبت في العلم عبرة وموعظة كنت عرضة لامرّ الخيبات.

★

★ ★

ان رأي الجمهور لا يوازي تضحية رغبة واحدة من رغباتنا.

★

★ ★

يحتاج اكثر الناس الى شيء من الزينة ليبدو انهم عظام.

★

★ ★

كل شيء عكر في النفوس العكرة.

★

★ ★

لا يمكن ان يكون الموت اكمل من الحياة.

كان وجه الموت قبيحاً ووقعه اليماً، وما زال. اذا قال بعضهم: لا ينبغي الخوف منه لان المرء اذ يموت يصبح غير موجود ليس الا ، اجبناه: وهذا لا يمنع ان فكرة الساعة الاخيرة ملأى بالآلام والاهوال.

★

★ ★

ليس للاموات الا الحياة التي يعيرهم اياها الاحياء.

★

★ ★

يحترم الناس الموت لانهم يرون، وهو الصواب، انه اذا كان موت المرء يحل، فسيكون كل واحد موضع الاجلال مرة، بالاقل.

★

★ ★

ما جيل من الناس بالقياس الى اجيال الموتى التي لا تحصى؟ وما ارادتنا التي لا تعمر اكثر من يوم امام ارادتهم التي مرت عليها قرون متطاولة؟ هل من

سبيل الى الثورة عليهم؟ بل نحن لم نؤت من الوقت ما يكفي لان نعصيهم.

★

★ ★

من الامور المشاهدة انه لا شيء اهون على الناس من الموت في سبيل الفاظ لا معنى لها. وهذا ما عناه (اجاكس) اذ قال (نقلا عن هوميروس): «كنت في صباي احسب ان العمل اقوى من القول فاذا بي اعلم اليوم ان القول اقوى..» قاله اجاكس بن اويلي.

★

★ ★

اكثر ما يتنازع الناس فعلى الفاظ. ومن اجل الفاظ يقتلون ويقتلون بطيب خاطر.

★

★ ★

الحركات الجميلة موسيقى العيون.

★

★ ★

ما هو المثل الأعلى الذي لم يعرفه الانسان ولم يعش به حيناً من الدهر؟ لقد عبد آلهة غلاظ الأكباد ودان باديان كفر وزندقة، وما زال يدين بمثلها. هو هنا يؤمل آمالا أبدية وهناك يعبد اليأس والموت والعدم؛ وهو حيث كان يعمل بنظام اخلاقي معين اذ يستحيل ان يعيش بلا آداب تسوسه.

اما والآداب ضرورية لحياة المجتمع فلا سبيل ولو اجتمعت نظريات العالم كلها الى غلبتها والقضاء عليها. هل كفَّ الأله(مولوخ) الأمهات الفينيقيات عن ارضاع صغارهن؟

★

★ ★

لم يعدم رأي في الآداب طائفة من الناس تؤيده وتدعو اليه. واذا توافقت آراء عدة فلأن اكثر الأخلاقيين كان همهم أن لا يخالفوا شعور الجمهور وغريزة العامة. ولو انهم اصغوا لصوت العقل وحده لقادهم في سبل مختلفة الى اغرب النتائج كما هو مشاهد في بعض الفرق الدينية التي اغرت العزلة

واضعيها بازدراء اجماع الناس الذي لم ين على الروية.

★
★ ★

ليس افعل في النفوس من سحر الاشياء المحجوبة ولا جمال بلانقاب يصونه. فان الانسان لا يؤثر على المجهول شيئاً ولولا الأحلام لما نهض بعبء الحياة احد. ليس في الحياة من هذا «الشيء» الذي لا نعرفه ولكن يخيل لنا انه فيها. ان الموجود او الواقع يفيد في صنع الخيال او المثل الأعلى (سواء باجادة ام بغير اجادة) ولعل هذه اعظم فوائده.

★
★ ★

ان المؤلفات التي يجمع الناس على الاعجاب بها هي التي لا يعمل الروية فيها احد: يأخذونها كما يؤخذ الحمل الثمين الذي ينالونه آخرين دون ان ينظروا فيه. ام حسبت ان في تقبلنا مؤلفات (الكلاسيك) من الاغريق واللاتين بل من الفرنسيس ايضاً، كثيراً من حرية الرأي؟ وهذا الذوق الذي يدفعنا الى كتاب

عصري ويدفعنا عن كتاب آخر هل تحسبه حراً، ام هو مبني على ظروف لا شأن لمضمون الكتاب فيها، اهمها روح التقليد الذي ليس في عالمي الانسان والحيوان اعظم منه سلطاناً؟ ان روح التقليد ضروري لنعيش دون ان نضل كثيراً: هو مسيطر على اعمالنا وعلى ذائقتنا الفنية، ولولاه لكانت الاراء الادبية والاحكام الفنية اشد اختلافاً مما هي.اذا نال كتاب بضعة اصوات لسبب من الاسباب نال بعد ذلك بفعل التقليد اصواتاً لا تحصى. فالاصوات الاولى وحدها كانت حرة اما ما عداها فاصوات تابعة طائعة واذن لا معنى ولا قيمة ولا ميزة لها، ولكن عن كثرتها ينشأ المجد. كل شيء متوقف على بداية صغيرة. فالمؤلفات التي تلقاها الجمهور بعدم الرضى منذ ظهورها لن يكون لها في المستقبل حظ من القبول، والمؤلفات التي اشتهرت منذ البداية لن تزال مبجلة رغم انها قد تصبح غير مفهومة. وفي هذا دلالة على ان الاجماع منشأوه التقليد يزول بزواله.



★ ★

قد يُحرم من تذوق اللذة مانحها.

*

* *

ينبغي ان يتولد الشعر من الحياة بلا كلفة، كما تخرج الشجرة والزهرة والثمرة من بطن الارض تحت عين السماء.

*

* *

اذا حسبنا ان كاتباً يسرق معاني لنا فلننظر، قبل ان ننادي بالويل، اذا كانت هذه المعاني، على الحقيقة، لنا. لست اعني مؤلفاً بعينه ولكني لا احب الضجيج الذي لا طائل تحته.

اما من كان كل همه الادب والفن فلا يعبأ بهذه الامور قط، علماً بانه ليس لرجل ان يدعي التفكير في شيء لم يفكر فيه احد قبله؛ وبأن المعاني مشاعة بين الناس لا يصح لمفكر ان يقول: «هذا المعنى لي» الاّ كما كان يقول الاولاد المساكين الذين حدث عنهم بسكال «هذا الكلب لي» وبأنه لا قيمة للمعنى الا بالصورة

التي افرغ فيها، وبأن وضع المعنى القديم في صورة جديدة هو جماع الفن بل الابداع الوحيد الذي اوتيه الانسان.

★

★ ★

امرأة بلا صدر فراش بلا مخدة.

★

★ ★

لا عزيز الاّ ما تخشى ضياعه.

★

★ ★

نحن مدينون للذين حاربوا الاوهام والتقاليد، لكن الثناء عليهم ايسر من الاقتداء بهم. لا تفتأ التقاليد في حركة مستمرة، تجتمع وتتبدد كالغيوم. وهي بطبيعتها جليلة، ثم تبدو بغيضة. اما الذين لا يؤمنون بخرافة عصرهم بل ينظرون محدقين فيما لا يجرؤ العامة على النظر فيه فهم نفر قليل.

★

★ ★

لا يجيد المرء الحديث عمن يحب الاَّ متى فقده، وما فن الشاعر الا جمع الذكريات ومناداة الاخيلة.

★

★ ★

كل الترقيات بطيئة مشكوك فيها، قد تتبعها حركات رجعية، وهو الاغلب. ان السير الى نظام افضل من النظام الحاضر محفوف بالريب والعقبات لان القوى الكثيرة العظيمة التي تقيد الانسان بماضيه تحبب اليه ضلالات هذا الماضي واوهامه وخرافاته وفظاعاته، كأنما هي ضمانات ثمينة للامان والسلامة. يهول المرء كل جديد نافع فهو مقلد حذراً من سوء العقبى، لا يجرؤ على الخروج من الكنف المتداعي الذي اوى اليه اباؤه والذي يهم ان ينقض عليه.

★

★ ★

ان الوعود تكلف اقل من الهدايا لكنها تساوي اكثر؛ ولن يعطي امرؤ قط بقدر ما يعطي من آمال.

★

★ ★

لكل صورة شعرية معانٍ عدة. فأي معنى وجدته كان عندك معناها الحقيقي.

★

★ ★

بي حب العقل لا التعصب له. ان العقل يهدينا وينير طريقنا، لكنك اذا جعلته الهاً اعماك واغراك بارتكاب الجرائم.

★

★ ★

يثور المرء اذا غلب. اما الغالبون فلا يكونون عصاة ثائرين.

★

★ ★

ليس بكافٍ ان لا تضيق ذرعاً بكل الاديان بل يجب ايضاً ان تجلها، اعتقاد انها مقدسة جميعاً، متساوية فيما بينها بحسن نيات المتدينين بها؛ كالسهام المرسلة من امكنة مختلفة الى غاية واحدة، تجتمع في صدر الله.

★

★ ★

الاديان كالحرباء تتلوَّن الوان القطر الذي تهبطه. كذلك فإن النظام الاخلاقي الواحد لكل جيل، وبه قوام وحدة الجيل، لا يفتأ يتبدل بتبدل العادات. فهو اوضح صورة لها كأنه ظلها المتضخم على الجدار.

★

★ ★

مرّت على هذا الدين اليهودي المسيحي قرون كثيرة ملأى بالاهواء والشهوات الانسانية وبالاحقاد والمودات الدنيوية، وتوالت عليه حضارات عديدة اما بربرية واما رقيقة، متشددة خشنة ومنعمة مترفة، مفرطة في التعصب ومتساهلة، وضيعة ساذجة ورفيعة فخمة، وحضارات زراع ورعاة وجند وتجار وصناع، واخرى اريستوقراطية وديمقراطية - كلها توالت عليه حتى اصبح موطأ الاكناف. ذلك انه لا فعل للاديان في الاداب والعادات بل ان هذه تكيف الاديان.

★

★ ★

من طبع الحكماء الحقيقيين ان يغضبوا سائر الناس.

★

★ ★

لا يختلف أعلمنا عن اجهلنا الا بمقدرته المكتسبة على التلهي بكثير من الضلالات المعقدة.

★

★ ★

ليس بجائز ان يكون العالم الحقيقي غير متواضع، فهو كلما خطا خطوة رأى طول الطريق امامه.

★

★ ★

العلم معصوم لكن العلماء يخطئون دائماً.

★

★ ★

لا ينبغي ان يختلط العلم والدين كما انه لا يختلط النسبي والمطلق، والمتناهي واللامتناهي، والظل والنور.

★

★ ★

لا يزدري العلم الاّ من يزدري العقل، ولا يزدري العقل الا من يزدري الانسان ومن ازدرى الانسان اغضب اللّه.

★
★ ★

ليست السيادة في الأمة بل في العالم. فإن خطأ يمسي يكرره ست وثلاثون مليون لسان لن يصبح صواباً. لقد أظهرت الجماعات على الأغلب استعداداً للعبودة يفوق حـد الوصـف، والضعـف يعظم في الضعاف بنسبة كثرة عددهم. وهذه الجماعات منذ كانت، جامدة قاصرة لا تظهر شيئاً من البأس إلا متى أوشكت أن تموت جوعاً.

★
★ ★

لم يضر العلمُ الدين في زمن من الازمان. قد يثبت العلم ان هذه العقيدة الدينية خطأ محض دون ان ينقـص من جراء ذلـك عـددُ الـذين يعملون عـلى مقتضاها.

في العلوم خير كثير: انها تمنع الناس من التفكير.

★

★ ★

ليست العيون والحواس كلها الا رسل الضلالات وبريد الاكاذيب. فهي تخدعنا اكثر مما تعلمنا؛ ولا تجيئنا الا بصور غير ثابتة سريعة الزوال. كذلك فإن الحقيقة تغيب عنا: لما كانت الحقيقة جزءً من اصلها الازلي فهي مثله غير منظورة.

★

★ ★

الشمس إلَه لكنه شديد الحرارة. لم يمكنه البقاء في صورة البشر فاتخذ شكلاً كروياً: هو إلَه مستدير.

★

★ ★

النعيم في العذاب، ويعرف هذا من احب.

★

★ ★

مجاهرتي بآرائي لذة غالية الثمن ولكنها لذة عظيمة

فلن اعفَّ عنها.

★

★ ★

بعض النساء افضل من بعض الرجال وبعض الرجال اقل فضلاً من بعض النساء. هذا ناشىء عن ان الجنسين غير مختلفين او منفصلين بقدر ما هو شائع معروف. بل يوجد في كثير من النساء شيء من الرجل وفي كثير من الرجال شيء من المرأة.

★

★ ★

تتألف عواطفنا من آلاف الاشياء الحقيرة التي تغيب عنا، وقد يتعلق مصير هذه النفس الخالدة بنفخة ضعيفة لا تكاد تلوي قذاةً ضئيلة. نحن العوبة الرياح.

★

★ ★

كلما نظر المرء وسمع وأحسّ ابلى شيئاً منه فهو مائت رويداً رويداً. أليست الحياة كما نحياها في هذه

الدنيا وفاة دائمة ننفق فيها كل يوم جزءاً من كمية الحياة التي أودعت فينا؟

★

★ ★

لم يوجد الانسان ليعلم ولا ليفهم، وليس على شيء مما يقتضيه هذا. ان دماغه اضخم من دماغ الغوريلا واكثر تلافيف، ولكن لا فرق جوهري بينهما. ليست اسمى افكارنا واوسع انظمتنا الفلسفية الا امتدادات مضخمة لما يتضمنه رأس القردة من آراء. يسلينا ويفتننا ما زاد من معرفتنا بالكون على معرفة الكلب ولكن هذا شيء يسير بل ان اوهامنا لتكثر كلما كثرت معارفنا.

★

★ ★

كل ما في الانسان سرّ من الاسرار؛ ولا سبيل الى معرفة ما كان خارجاً عن الانسان: هذا هو العلم الانساني.

★

★ ★

في اشراكنا بالحقيقة الدائمة المطلقة هذه الحقيقة الناقصة الموقتة التي يدعونها «العلم» كفر وجحود. لقد نشأ عن جنون البشر بأن يشبهوا بين الحقيقة والظاهر وبين الجسد والروح، كثير من الآراء الباطلة الضارة التي كشف بها مداح هذا العصر عن عجزهم المتهور.

★

★ ★

لو كان الخطأ يظهر للناس جميعاً لما اخطأ احد. فإن عن الحس العام تنشأ الاحكام الباطلة كلها: هو الذي يعلمنا ان الارض ثابتة وان الشمس تدور حولها وان الذين يقطنون الاقطار المتقابلة (انتيبود) يمشون رؤوسهم الى اسفل. حذار من الحس العام! فإن باسمه ارتكبت كل الحماقات وكل الجرائم.

★

★ ★

يتألم الانسان اما لحرمانه مما يعتقد انه خير واما لخوفه من فقدانه اذا كان مالكاً له، واما لانه مصاب بما يعتقد انه شر. انزعوا من صدره هذه الاعتقادات

تزيلوا الشرور والآلام.

★

★ ★

علمت ان استحضار الارواح دين لا ينبغي ان تحرم النفوس منه. هو وهم لكن فيه عزاء وسلوى.

★

★ ★

ان المذهب الروحاني وسيلة الى معالجة الادواء لا يصح اهمالها في حالة الطب الحاضرة.

★

★ ★

ان ما يسمونه فن الخطط الحربية هو في الحقيقه عين ما تمارسه شركة كوك: اجتياز الانهار على الجسور وقطع الجبال بسلوك الفجاج. اما القواعد المتبعة في الحروب فصبيانية لا يكترث لها كبار القواد الذين يوسعون المجال للحظ وان كانوا له منكرين. يقوم فنهم بخلق اوهام تكون عوناً لهم في المعارك، فيهون عليهم مثلاً ان يغلبوا اذا اوجدوا اعتقاداً بأنهم لا غالب

لهم. ولا تكسب المعركة صفات الدقة والانتظام التي توهم وجود ارادة عليا الا على الخريطة.

★

★ ★

للجبر والهندسة اسلوبها كما للموسيقى والشعر، وبالاسلوب الجليل يستدل على النبوغ في العلوم كما يستدل به على النبوغ في الفنون.

★

★ ★

ليس الأبد على الأموات بطويل.

★

★ ★

لا يسيطر الانسان على الزمان، والزمان هو الحياة عينها، الا متى قسمه ساعات فدقائق فثواني، أعني متى جزأه أجزاء متناسبة على قصر الحياة الانسانية.

★

★ ★

هل بقيت رذيلة منذ عصر الكهوف ووحيد القرن لم يستنبطها الانسان؟ لقد تخيل الوحش الآدمي كل شيء قبل ان يتسع خياله.

★

★ ★

الحياة بحد ذاتها نكبة، نكبة مستمرة، اذ لا سبيل الى ظهورها إلاّ في وسط غير ثابت، وشرط وجودها بالأصل هو عدم استقرار القوى التي تحدثها. كذلك فإن حياة الشعب كحياة الفرد تهدمٌ دائم وسلسلة انهيارات وتفش للمكاره والجرائم لانهاية له. هذا وطننا أجمل وطن ولكن لا بقاء له إلا بتجدد شدائده وتكرر أغلاطه. في الحياة الأتلاف وفي العمل الأضرار.

★

★ ★

الحياة! أتريد أن أُعرِّفها لك علمياً؟ هي مجهول يلوذ بالفرار.

★

★ ★

تكون الحياة جديدة بأن يحياها المرء في حالات خاصة. الحياة نور ضئيل بين ظلمتين غير متناهيتين، بل هي حظنا من الألوهية. والانسان ما عاش، فهو شبيه بالالهة.

★

★ ★

عبثا نوقن بباطل الحياة ونطل على هاوية العدم، فقد تكفي زهرة لغمر الهاوية.

★

★ ★

كل ذي حياة غذاء لمن يجيء بعده. والعربي الذي يبني كوخه برخام هياكل تدمر أعقل من كل حفظة المتاحف في لندن وباريس وميونيخ.

★

★ ★

ليس في شرور الحياة ما هو اشد ايلاماً من زوال الاشياء حولك كافة.

★

★ ★

العادات والافكار والعقائد والمشاعر جميعاً في تبدل دائم، وكل جيل يجيء بأنماط واهواء جديدة. ان في الزوال المستمر الذي يطرأ على كل الصور وعلى كل المعاني خير ملهاة في هذه الحياة كما انه اعظم مدعاة حزن فيها.

★

★ ★

لا تبدو الحياة قصيرة الاَّ لأنا نقيسها دون روية على آمالنا الجنونية. كلنا كعجوز القصة لا يزال عنده جناح يضيفه الى القصر الذي شاده.

★

★ ★

الحياة خيانة مستمرة.

★

★ ★

ينبغي، لتكون الحياة عظيمة وليملأ فراغها، ان يوضع فيها الماضي والمستقبل. ينبغي ان تكون آثارنا الشعرية والفنية في تكريم الذين ماتوا وفي التفكير

بالذين سيولدون. هكذا نشترك فيما كان وفيما هو كائن وفيما سيكون.

★

★ ★

كل شيء يزول لكن الحياة باقية. فالحياة، الحياة يجب ان نحب في صورها التي لا تفتأ متجددة.

★

★ ★

للصغائر في الحياة مقام عظيم.

★

★ ★

تكاد تتألف البشرية كلها من الموتى، وما اقل الاحياء بجنب الاموات الذين لا يحصون. اذاً فما هذه الحياة التي هي اقصر من حافظة البشر القصيرة؟

★

★ ★

كأني بالناس اليوم يعتقدون ان الحياة شيء لا يعدله سواه، على ان الطبيعة تعلمنا انه ليس اخس

منها ولا احقر. لقد كانت البشرية في الماضي اقل انفعالاً بالعواطف: كان الرجل يرى حياته ثمينة بلا حد، ولكن لم تكن لحياة غيره قيمة عنده. كان الناس يومذاك اقرب الى الطبيعة، فأنما وجدنا ليأكل بعضنا بعضاً. لكن النوع صار الى الضعف والوهن والرياء، فالانسان يأكل لحم اخيه بالمداراة والخديعة. وفيما يفترس احدنا الآخر ننادي على رؤوس الملأ ان الحياة مقدسة ولا نجرؤ على الاقرار بأن الحياة قتل مستحر.

★

★ ★

قد تكون الحياة كما نراها في هذه الدنيا وعلى الوجه الذي نفهمها، اعني الحياة العضوية التي يحياها الحيوان والانسان. عارضاً خاصاً بهذا العالم الصغير الذي ندعوه «الارض» ليس الا، وقد يكون هذا الكوكب فسد وتعفن فكل ما نراه فيه (ونحن ايضاً) آثار الداء الذي افسد الثمرة الخبيثة. ان معنى الكون يغيب بالكلية وما يدريك لعلنا جراثيم يمجها نظامه.

ليس الشر في ان يعمر الانسان طويلاً بل في ان يرى حوله كل شيء يزول. الأم والزوج والبنون! تلك كنوز تجمعها الطبيعة وتبددها بعدم اكتراث محزن، فإذا نحن في النهاية لم نحبب ولم نضم الى صدرنا إلا أشباحاً. ولكن لله، ما أرق بعض هذه الاشباح وما أحبها!

★

★ ★

أليست المدن كتباً، كتباً مزينة بالرسوم، نرى فيها الاجداد؟

★

★ ★

الارادة وهم ناشىء عن جهلنا بالعلل التي تكرهنا على ان نريد. ليس ما يريد فينا «نحن» بل انظمة من الحجيرات الناشطة نشاطاً معجزاً، لا نعرفها ولا تعرفنا ولا يعرف بعضها بعضاً لكن بها قوامنا. هي تحدث بحركتها الدائمة مجاري لا تحصى سميناها الاهواء والافكار والآلام والمسرات والمخاوف والشهوات،

والارادة. نحسب انا اسياد نفسنا، لكن قطرة من الكحول تهيج هذه العناصر التي بها نحس ونريد، ثم لا تلبث ان تخدرها.

★

★ ★

لا يعلم احدنا أهو اساء الى ابناء آدم ام احسن. يجب ان نعبدهم دون ان نجتهد لفهمهم. ان حكمتهم سر من الاسرار (خواطر الكلب ريكه).

★

★ ★

ان عملاً ضربت من اجله عمل سيء، وعملاً انعم عليك بالملاطفة والطعام من اجله عمل حسن (خواطر الكلب ريكه).

★

★ ★

اجتاز دلوٌ فيه ماء الصالون ذات يوم. وكان مثقوباً فبلّل الارض. اظن ان هذا الدلو الوسخ قد عوقب بجلد اليته (خواطر الكلب ريكه).

يوجد في السوق عجلات تجرها الخيل: انها رهيبة. ويوجد عجلات تمشي وحدها نافخة بقوة: هذه بطنها مملوء عداوة. لا احب الرجال الذين يلبسون خرقاً مرقعة، ولا الذين يحملون السلال على رؤوسهم، ولا الذين يدفعون البراميل امامهم. احب الاولاد الذين يفرُّ بعضهم من بعض ويبحث بعضهم عن بعض، ويتراكضون صارخين في الازقة. ان الدنيا مملوءة بالاشياء الخصيمة الرهيبة (خواطر الكلب ريكه).

★
★ ★

يزهد المرء في الابانة عن عواطفه اذا كانت الالفاظ ستضعفها كثيراً.

★
★ ★

من يقدر على ان يحل عقد العلل والمعلولات؟ من يقدر على ان يفاخر، اذا قام بعمل، قائلاً: انا عالم بما انا صانع؟

★
★ ★

هل يوجد تاريخ منصف؟ بل ما التاريخ؟ هو تمثيل الحوادث الماضية بالكتابة. ولكن ما الحادث؟ أهو اي حادث؟ كلا هو حادث جدير بأن يذكر. كيف يحكم المؤرخ على الحادث بأنه جدير ام غير جدير بالذكر؟ يحكم المؤرخ اعتباطاً بفعل ذائقته وطبعه ورأيه اي بصفته فناناً. ذلك ان الحوادث ليست بطبيعتها على نوعين: الحوادث التاريخية والحوادث غير التاريخية. ثم إن الحادث شيء عويص مركب فهل ينقل المؤرخ الحوادث كما هي في تركيبها؟ هذا مستحيل. فانه يعرضها مجردة من كل الخصائص التي تقوم بها؟ ناقصة مشوهة مختلفة عن حقيقتها. اما علاقات الحوادث فيما بينها فالافضل ان لانذكر عنها شيئاً: اذا كان الحادث الذي يسمى حادثاً تاريخياً، ناشئاً؛ وهو الاقرب الى التصديق، عن حادث او عن بضعة حوادث غير تاريخية، اذاً مجهولة، فكيف يستطيع المؤرخ ان يعين الصلة بين هذه الحوادث في تسلسلها؟ واني لافترض فيما اقوله الان ان المؤرخ ينظر في شهادات صحيحة ثابتة على حين انه بالحقيقة مخدوع في اكثر الاحوال؛ وانه لا يثق بهذا الشاهد او بذاك

الا لدواعٍ عاطفية. ليس التاريخ بعلمٍ بل هو فن؛ ولا ينجح فيه الا صاحب المخيلة.

★

★ ★

ينسخ المؤرخون بعضهم عن بعض فيكفون انفسهم العناء ولا يتهمون بالغرور. اقتدِ بهم ولا تكن مبتكراً فان المؤرخ المبتكر موضع ريبة واحتقار واشمئزاز عند الناس كافة.

★

★ ★

كان البشر في الماضي كما نعرفهم اليوم، خياراً وسطاً وشراراً وسطاً.

★

★ ★

قد يوجد في عالم مجهول مخلوقات هي شرٌّ من الانسان. هذا جائز وان كنت الى عدم التصديق به اميل. لكن الثابت انهم يقطنون اذا وجدوا؛ في اقاليم محرومة من النور، واذا كانوا يحترقون فبالجليد الذي

يحدث آلاماً لاذعة لا بالنيران الشريفة بين بنات الكواكب المضطرمة. هم معذبون لانهم اخباث ولان الخبث داء، ولكن لا يصح ان يعذبوا الاّ بالقشب.

★

★ ★

ان ابيقور والقديس فرنسوا داسيز هما في نظري، افضل الاصدقاء الذين لقيتهم الانسانية المعذبة في سيرها على غير هدى. لقد اطلق ابيقور النفوس من مخاوفها الباطلة وعلمها ان تقيس فكرة السعادة على طبيعتها المسكينة وقواها الضعيفة. اما الرجل الصالح فرنسوا داسيز الذي كان ارق قلباً وادق احساساً فقد هدى النفوس سبيل التنعم بالحلم الباطن واوصاها ان تتغذى به فتفيض مسرةً في مهاوي وحدة مسحورة. كان كلاهما صالحاً محسناً: الاول لقضائه على الاوهام المخيبة والآخر لخلقه اوهاماً لا يقظة منها.

★

★ ★

ان للوهم الذي يدوم صفات الحقيقة، ولن يكون

مخدوعاً او مغبوناً من لا يقع في الخيبة.

★

★ ★

لا تدوم الممالك بحكمة بعض الوزراء ورجاحة عقولهم بل بحاجة الملايين من الناس الذين يحترفون لكسب معاشهم ضروب الحرف الدنيئة كالصناعة والتجارة والزراعة والجندية والملاحة. فإن هذه الصغائر هي التي تؤلف ما يدعونه بعظمة الشعوب، وليس فيها للأمير ووزرائه ادنى نصيب.

★

★ ★

الدولة كالجسد الانساني، ليست كل وظائفها شريفة، بل ان منها ما يجب اخفاؤه عن الانظار، وقد تكون هذه الوظائف اوجبها ولا غنى عنها.

★

★ ★

يجب ان تقول بما يقوله الجمهور اذا كنت لا تستطيع ان تفكر مثل تفكيره، فإن بوحدة العقائد

قوة الشعوب.

★

★ ★

لا يمكن ان يحكم الشعب الواحد في الزمن الواحد الا على صورة واحدة، لان الشعوب اجسام تتوقف وظائفها على تركيب اجزائها وحالة اعضائها، اي على الارض وسكانها، لا على الحكومات التي تخلع على الامم كالثياب المحكمة على جسم الافراد.

★

★ ★

ما الوطن؟ هو نهر يجري شواطئه ابداً متبدلة ومياهه متجددة.

★

★ ★

على باريس مهمة، هي ان تعلم الدنيا. فإن من حجارة ارض باريس الحجارة التي طالما ثارت لنصرة العدل والحرية، تفجرت الحقائق المعزية المنقذة.

★

★ ★

في مالية الشعوب منابع خفية يغيب عن علماء الاقتصاد علمها. فان امةً مفلسة لقادرة على ان تعيش خمساية عام بابتزاز الاموال وهضم الحقوق. وكيف السبيل الى معرفة ما قد يجهز به فقرُ شعب عظيم، حماته وجنوده، من المدافع والبنادق والخبز الرديء والاحذية الرديئة والتبن والشعير؟

★

★ ★

ان المعارضة شر مدرسة يتعلم فيها رجال الحكم كيف يحكمون. لهذا نرى عقلاء الساسة الذين بلغوا الى المناصب العالية من سبيل المعارضة، يعنون في حكمهم باتباع نقيض القواعد التي كانوا يجاهرون بها من قبل. فإن الضرورات التي خضع لها السلف تسيطر على الخلف ايضاًولا يأتي هؤلاء بجديد الا قلة خبرتهم.

★

★ ★

ليس النظام العام الا تعدياً منظماً.

★

★ ★

ان سياسة الاستعمار هي أحدث مظاهر البربرية او اذا شئت فهي حد المدنية الاخير. لا افرق بين هذين اللفظين لأن مدلولهما واحد. وليس ما يسميه الناس مدنية الاّ عادات العصر الحاضر وآدابه، وما يسمونه بربرية هي احوال العصور الغابرة. فالعادات الحاضرة سوف تدعى بربرية متى اصبحت. عادات الماضي.

لا مناص الآن من الاقرار بأن من عاداتنا وآدابنا أن تقضي الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة. وهذا اصل في الشرائع الدولية واساس في السياسة الاستعمارية. ولكن لننظر! هل كان في الفتوح البعيدة منافع للامم؟ لا ارى ذلك. ماذا افادت اسبانيا من المكسيك والبيرو؟ وماذا افادت البرتغال من البرازيل؟ وماذا افادت هولاندة من بتافيا؟

ان المستعمرات على انواع. فمستعمرات تستقبل مساكين الاوروبيين بارض قفر جدباء، ترعى العهد وتظل على الولاء ما كانت فقيرة، فاذا اثرت انفصلت عن قاعدة المملكة واستقلت بامورها. ومستعمرات لا تصلح للسكن ولكن تؤخذ منها مواد اولية وتحمل

اليها سلع جاهزة، فبديهي ان هذه لا تغني حاكميها بل المتاجرين فيها. وهي، الا ما ندر، لا تساوي ما تكلفه، ثم لا تفتأ تعرض الحكومة المستعمرة للنكبات الحربية.

*

* *

ليست حياة الشعوب الا سلسلة من المكاره والجرائم والحماقات.

*

* *

كلما تقدمت في السن ازداد يقيني بانه لا يوجد مجرمون، ولا يوجد الا بؤساء مساكين.

*

* *

الحماقة هي قابلية السعادة. فيها الرضى الكلي، وهو رأس الخيرات في مجتمع متمدن.

*

* *

خير لك ان تكون احمق مثل كل الناس من ان يكون لك عقل ليس كعقل احد.

★

★ ★

كان لا يؤمن بحسن اثر العقوبات في النفوس، يائساً من جعل السجن مدرسة فضيلة، لا يرى في تعذيب الخلق اصلاحاً لهم، فكان يكفي اولئك المساكين مضاضة الآلام ما وجد اليه سبيلا.

★

★ ★

لولا السخرية لكانت الدنيا غابة لا طير فيها. السخرية مسرة التفكير وبهجة الحكمة.

★

★ ★

من يدري ما تولده الألاعيب في نفوس الاطفال من احلام؟

★

★ ★

نحن اطفال، مقضي علينا ان نظل اطفالاً الى الابد، لا نفتأ نعدو وراء الاعيب جديدة.

★

★ ★

الحقيقـــة هي ان الحرب من لوازم الطبيعـــة الانسانية وانه يتعذر تصور شعوب لايحارب بعضها بعضاً، أعني لا يكونون قتلةً نهّابين محرقي القرى. كذلك يتعذر تصور ملك او امير ليس بمغتصب وإن قليلا، لئلا يزدرى ويلام على زهده في المجد اشد اللوم. الحرب اذاً ضرورية للانسان بل هي الزم لطبعه من السلم الذي لا يكون الا فترة او هدنة. لذلك كنا نرى الملوك والامراء يقذفون جيوشهم بعضها ببعض، لشر العلل واتفه الاعذار فيتوسلون الى الحرب بشرفهم. ويالله ما ادقه واسرع انفعاله! يكفي نفخة ضعيفة لاحداث لطخة لا تغسل الا بدم عشرة او عشرين او ثلاثين او مئة الف رجل، على نسبة عدد السكان. ومهما اطلنا الروية فلن نفهم كيف يغسل شرف الامير بدم هؤلاء المساكين، ولكننا نعلم ان هذه الالفاظ خلو من المعنى، وان الناس يقدمون على الموت، غير

وجلين، من اجل الفاظ. وثمة ما هو اعجب فإن الامير يصيب فخراً عظيماً من سرقة ولايـة. واذا كان التعدي الذي يأتيه فرد جريء جزاؤه الموت فهو امر ممدوح اذا قام به الملك بعون جنوده المرتزقة مظهرين فظاعة لا مثيل لها.

★

★ ★

كل تبدل مادي يتبعه تبدل معنوي لان الآداب والعادات مرتبطة بالبيئة وبديهي ان التبديل الذي يحدثه الانسان في ارضه هو ابلغ واحسن نظاماً من التبديلات التي تحدثها سائر الحيوانات. اذاً فلماذا لا تعمل البشرية على تهذيب طبيعتها كي تجعلها مسالمة؟ لماذا لا توفق ذات يوم الى القضاء على تنازع البقاء او بالاقل الى تنظيمه؟ لماذا لا تنسخ شريعة القتل؟ ليس بعجيب ان نرجو من الكيمياء كثيراً ولكني لا اجزم بشيء. فمن الممكن ان يستمر النوع الانساني على سويدائه وهوسه وجنونه حتى يحين فناؤه المحزن في الجليد والظلمات، ولعل هذا العالم مركب على الشر بلا امل في شفائه.

يندر ان يثري من اتخذ التنبؤ بالمستقبل مهنة، فإن الناس لا يلبثون ان يعرفوا كذبه وخداعه فيبغضوه بغضاً شديداً. ولكن يجب ان يكون بغضنا اياه اشد، لو كان صادقاً في نبوآته. فإن حياة المرء، اذا عرف ما سيحدث له، تصبح عبئاً لا يطاق حمله وويلاً لا يصبر عليه. فهو يكتشف شروراً مستقبلة تؤلمه قبل وقوعها، ولا ينعم بالخيرات الحاضرة لأنه يرى نهايتها. ان الجهل شرط لا غنى عنه في سعادة البشر. ومن المسلم انهم؛ على الاغلب، يوفون هذا الشرط حقه، فنحن نكاد نجهل من نفسنا كل شيء ولا نعلم من غيرنا شيئاً. في الجهل طمأنينتنا وفي الكذب سعادتنا.

★

★ ★

الحسنُ في الشبيبة هو انها قادرة على أن تعجب بالاشياء دون ان تفهم لها معنى. لكن المرء اذا تقدم في السن اراد ان يدرك علاقات الاشياء فهو اذن يرمي بنفسه في الضيق.

★

★ ★

في الغريزة وحدها الحقيقة، فيها وحدها اليقين الذي قدر للبشر ان يبلغوا اليه في هذه الحياة الوهمية. ومن عقله يجني المرء ثلاثة ارباع الشرور التي عرفها الانسان.

يقول شيخنا كوندياك ان اذكى الناس هو ايضاً اعظمهم قابلية للخطأ.

★

★ ★

يجب على الرجل المستقيم ان ينقد الاقدار ثمن ما يشتري منها.

★

★ ★

اذا حركت مبدأً وجدت شيئاً تحته فعلمت انه ليس بمبدأ.

★

★ ★

احسب ان ست سنوات او سبعاً يعنى المرء فيها بثقافته الادبية تمنح فكره اذا كان حسن القبول، نبلاً

وظرفاً وجمالاً لا تكتسب بوسائل اخرى.

★

★ ★

الفلسفة والادب هما (الف ليلة وليلة) الغرب.

★

★ ★

لو لم يكن الا الشر في الدنيا لما رأيناه، كالليل لا يكون له اسم لو ان النهار لا يطلع.

★

★ ★

المهم في التضحية هو التضحية بحد ذاتها. اذا كان ما تضحي نفسك لاجله وهماً، فإن تضحيتك حقيقة لا ريب فيها. وهذه الحقيقة هي انفس حلية يزين الانسان بها خصاصته المعنوية.

★

★ ★

ان الحكمة ترفع العبد فوق سيده، بل ماذا اقول؟ فإن العبد الفاضل لاسمى من الآلهة ايضاً، لانه

اذا كان مساوياً لهم في الحكمة فهو يفضلهم بجهال الجهود التي يبذلها في عروجه الى تلك المرتبة العالية.

★

★ ★

أكثر الذين يصيبون نجاحاً في هذه الدنيا البلهاء. والأذكياء حمقى لأنهم لا يتوصلون الى شيء.

★

★ ★

يجب ان نأذن لهؤلاء البشر المساكين ان لا يطابقوا دائماً اقوالهم على عواطفهم. بل يجب ان لا نضيق ذرعاً اذا كان لكل واحد منا فلسفتان او ثلاث في وقتٍ معاً، فليس ما يحمل على الاعتقاد بأن مذهباً واحداً فيه كل الصواب، الا اذا كنت واضع ذلك المذهب - ولا يغتفر التعصب او التحيز الا لمخترع أولواضع - وكما ان في القطر الواسع أقاليم مختلفة جداً فكذلك في العقل الواسع كثير من المناقضات. والحقيقة هي ان النفوس المنزهة عن كل «لا منطق» تخيفني. فانا لا استطيع تصور انها لا تخطىء قط واخشى لذلك ان تخطىء دائماً، على حين ان المرء الذي لا

يدعي «المنطق» قد يهتدي الى الحقيقة بعد ان يكون اضاعها. سيعترض عليَّ دفاعاً عن المنطقيين بأنه يوجد في آخر كل قياس حقيقة كما يوجد عينٌ او ظفرٌ في طرف الذنب الذي وعد به (فورنيه) البشر يوم يكتملون وتتناسب اعضاؤهم. ولكن يبقى للعقول المتعرجة المترددة فضلٌ بأنهم يسلون غيرهم بالاخطاء والضلالات التي تسليهم انفسهم.

يا لسعد من كانت له مثل عولس رحلة جميلة! اذا كان الطريق مزدهراً فلا تسل الى اين يوصل. هذه نصيحة اسديكها غير مبال بالحكمة السائرة، مصغياً الى صوت حكمة اسمى: كل الغايات محجوبة عن الانسان. سألت عن طريقي اولئك الذين ادعوا معرفة جغرافية المجهول جميعاً، اعني رجال الدين والعلم، والسحرة والفلاسفة. فلم يستطع واحد منهم ارشادي الى السبيل الأقوم. لذلك اخترت هذا الطريق الذي تظله اغصان غضة مشتبكة، تحت السماء الضاحكة الضحيانة، تقودني عاطفة الجمال ومن ذا الذي وفق الى خير من هذا الدليل؟

★

★ ★

الهندسة اصل في كل شيء، بل هي فيه كالهيكل العظمي في الحيوان. ان العالم المرئي يحجبها، ولكنها في لعب الصور اللامتناهية التي يتجلى الكون فيها لنفسنا الحائرة تسيطر بسننها الثابتة على المادة النائمة والمـــادة اليقظـــى، عـــلى البلور والانسان، والارض والنجوم. هي مسيطرة على جمال الغواني وائتلاف الموسيقى واوزان الشعر وانتظام الافكار. هي مقياس كل شيء، فيها الحركة وفيها الاستقرار. ما أسعد الذين يتبعون في عمر طويل، حسن نظام صورها ويكتشفون خصائصها التي لن تزول.

يولـد الاطفـال متـدينـين. ألم ترَ انهم يعبـدون الاعيبهم؟ ويسألون الاعيبهم ما سألت البشرية آلهتها منذ الازل: المسرة والنسيان، والكشف عن المناسبات الخفية، وسر الوجود. ان الألاعيب كالآلهة تبعث الرعب والحب على السواء. اليست الألاعيب التي كان يسميها صبايا الاغريق «بنات الماء» كالعذارى الآلهيات لتلك الطفولة الاولى؟ والشياطين التي تخرج من العـلاب، اليست ترمز مثـل غورغونـة اليونـان وبعلزبوت النصارى عن اتحاد البشاعة المنظورة بالشر

الباطن؟ لا ينكر ان الاطفال قد يجاوزون الحد مع آلهتهم، ولكن ألم يشتم الكبار اسماء آلهتهم ايضاً؟ ان الاطفال يحطمون الاعيبهم ولكن اي رموز لم تحطمها الانسانية؟ ان الطفل كالرجل لا يفتأ يبدل مثله العليا. ولن تزال آلهته غير كاملة لانها صادرة عنه بالضرورة.

★

★ ★

قوام الوطن معابد الآلهة وقبور الاجداد، وانت مواطني بوحدة الذكريات والاماني.

★

★ ★

لا تولِّد الوطنية بغضاً الاّ في العقول المحدودة والقلوب العنيفة التي تضيق ذرعاً بفهم التضامن الانساني، فلا تدرك ان مصير طائفة من الناس متصل في هذه الدنيا بمصير الناس اجمعين.

★

★ ★

ليس الشر في انك تحيا بل في علمك انك تحيا.
الشر هو في المعرفة والارادة.

★
★ ★

ان الرجوع الى العلم في التمييز بين الحادثات الطبيعية والحادثات الخارقة لكالتسليم بأنه الحكم المعصوم في هذه الدنيا: لا نكران ان للعلم وحده في عصرنا ان يفصل بين الرشد والضلال، وانه لا يصل الى المعرفة شيء الا بعد تحقيقه وبإذنه، وانه لا يعترض على حكمه الا لديه. ولكن من الجهة الاخرى لا يجب ان تستدعى كل الحادثات الى محكمته على صورة واحدة لا تبديل لها؛ فقد تكون ثمة حادثات فريـدة نـادرة دقيقـة، اذا ظـل العـلم «الرسمي» ينتظرها في لجانه لم تجيء اليه قط. وهنا يبدو لي ما في تدليل ارنست رنان من خطر، في مراميه ان لم يكن في اصله. فهو يذهب، اذا لم يحترز منه، الى رد كل ما لا يحصل عليه في المختبر. والعلماء ميالون بالطبع الى انكار الحادثات المفردة التي لا تدخل في دائرة ناموس معروف. فانا اخشى ان ينتهي بهم الامر

الى رفض الظهورات غير المألوفة والظهورات الخارقة على السواء، بقولهم: «هذا لم ير مثله من قبل». اذا كانت المعجزات مخالفات لنواميس الطبيعة فليس يعلم احد ما هي، لانه لا احد يعرف نواميس الطبيعة. لم يشهد فيلسوف معجزة في زمن، بل هو عاجز عن ان يشهد ذلك. فلو اجتمع كل صانعي الاعاجيب حوله وعرضوا لانظاره اعجب الظهورات لاضاعوا وقتهم، لانه اذ ينظر اليها لا يهتم الا بالبحث عن الناموس الذي يصح ادخالها فيه، فاذا لم يوفق الى كشفه اكتفى بان يقول: «ان مجاميعنا الطبيعية والكيميوية ناقصة جداً». لهذا نقول انه لم تحصل معجزة قط، او اذا حصلت معجزة فليس في الامكان ان نحيط علماً بذلك (النتيجة على كلتا الحالتين واحدة) لانا نجهل الطبيعة واذاً نجهل ما ليس في الطبيعة.

★

★ ★

لا ينبغي ان نقول: «لم يقم على المعجزات دليل فاذن لا وجود لها». لان المؤمنين قد يدعونك حينئذٍالى تحقيق اكمل. والحقيقة هي ان المعجزة لا

يصح ان تثبت لا اليوم ولا غداً، لان اثباتها هو كتقديم نتيجة مبتسرة او سابقة لاوانها. في اقصى ضميرنا ما ينبئنا بان كل ما يكنه صدر الطبيعة مطابق لنواميسها المعروفة او المجهولة. بيد ان المرء اذا قدر على اسكات هذا الصوت في باطنه فلن يستطيع ان يقول: «هذا الحادث هو في خارج حدود الطبيعة» لان استكشافنا لن يصل الى تلك الحدود. واذا كان الاصل في المعجزة ان لا تقع تحت معيار المعرفة فالدين الذي يثبتها يسند دعواه الى شاهد لا يمكن امساكه ولن يحضر الى آخر الدهر.

★

★ ★

ان المعجزة نظرية صبيانية تزول متى بدأ الفكر يتمثل الكون تمثلاً منظماً. وقد كانت حكمة الاغريق لا تطيق شيئاً من هذا القبيل. فكان بقراط يقول في حديثه عن داء الصرع: يسمون هذا الداء بالداء الآلهي ولكن الامراض كلها آلهية وتأتي من الالهة.» فهو يتكلم بصفته فيلسوفاً مادياً، لكن العقل البشري اضعف اليوم يقيناً واقل تثبتاً. ولا يغضبني احد

كالقائلين: «نحن لا نؤمن بالمعجزات لانه لم يقم على احداهن دليل.»

★

★ ★

... لن نفتأ نحب هؤلاء الميامين الذين ترسل شفاههم الى آذاننا تلك السلاسل الذهبية التي حدثت عنها اساطير الغالبين. لن نفتأ نقاد بحسن القول وفصاحة اللسان.

★

★ ★

لا شيء في الدنيا اجلّ من الالم.

★

★ ★

لا ينبغي لك ان تسأل المرأةِ كل شيء، وخذ اللذة حيث تجدها.

★

★ ★

السيء في الرغبات، حتى في ابسطها، هو انها

تخضعنا للغير وتجعلنا غير مستقلين.

★

★ ★

... كل مصائبنا باطنة ونحن مسببوها، نحسب، خطأ، انها تأتينا من الخارج ولكننا نكوّنها في باطننا، من نفس مادتنا.

★

★ ★

لا شيء في ذاته مشرف او معيب، عادل او ظالم، مستحب او مستكره، حسن او سيء، فان رأيك هو الذي يهب الاشياء صفاتها كالملح في الطعام.

★

★ ★

ما التاريخ؟ مجموعة اقاصيص اخلاقية او مزيج من الحوادث والخطب البليغة حسبما يكون المؤرخ فيلسوفاً او واعظاً. قد توجد فيه قطع بيانية جميلة ولكن لا ينبغي ان نلتمس فيه الحقيقة، لان الحقيقة هي في اظهار ما بين الاشياء من نسب لازمة، ولا

سبيل الى اثبات هذه النسب لان المؤرخ عاجز عن اتباع سلسلة العلل والمعلولات. انظر! كلما كانت علة الحادث التاريخي من حادث غير تاريخي فان علم التاريخ لا يراها. ولما كان بين الحوادث التاريخية والحوادث اللاتاريخية صلة مكينة فينتج عن هذا ان الحوادث لا تتسلسل في التواريخ تسلسلا طبيعياً بل ترتبط بروابط بيانية صنعية، ليس الا. كذلك لا يغرب عن فكرك ان المؤرخين يميزون بين الحوادث التي تدخل في التاريخ والحوادث التي لا تدخل فيه، الا اعتباطاً. ليس التاريخ اذاً بعلم لانه مقضيٌ عليه، بعيب في طبيعته، ان يلزمه غموض الكذب وان يعوزه السياق والاتصال اللذان لا معرفة حقيقية بدونها. كذلك لا يمكن ان تستخرج من اخبار الامم وسيرها اقل دلالة يرجم بها عن مستقبلها. ولما كانت خاصة العلوم التنبؤ والاخبار عن الحوادث الاتية كما هو مشاهد في الالواح التي تعين فيها بالحساب الاهلة ومد البحر وجزره والكسوفات قبل وقوعها، فقد اثبتنا ان التاريخ ليس بعلم لان الثورات والحروب لا تضبط بحساب.

علام تؤلف تاريخاً اذ ليس عليك الا ان تنسخ من اشهر كتب التاريخ كما هي العادة؟ ان كان عندك فكر جديد ورأي خاص، او كنت تظهر الناس والاشياء من وجهة غير مألوفة، فانك اذاً تباغت القارىء ، والقارىء لا يحب ان يباغت. هو لا يلتمس في التواريخ الا الحماقات التي يعرفها، فاذا اجتهدت لتعليمه كانت ثمرة جهدك انك حقرته في عين نفسه فاغضبته. لا تحاول انارة فكره والا صرخ قائلاً: انك تسفه عقائده.

★

★ ★

.. وهل الحياة ذاتها بريئة البراءة كلها؟ هل يستطيع افضلنا ان يهنيء نفسه، وهو يسلم الروح، على انه لم يسيء الى احد من الناس؟ هل نعلم ما تكلفه الكلمة تخرج اليوم من افواهنا - ما قد تكلف رجلاً مجهولاً من اتراح وآلام؟ هل نعلم اذ نرسل السهم المجنّح اي كبدٍ سيصيب في سيره المقدور؟ ألم يقل الذي جاء الى هذه الدنيا لينزل ملكوت السماء، ذات يوم وهو في جزع النبوة: «اتيتـــكم بـــالسيـــف لا بالسلام»؟

ومع ذلك فهو لم يعلم تنازع البقاء ولا ضلالة الحرية الانسانية. فاي نبي بعد هذا النبي يستطيع ان يضمن لنا ان «السلام» الذي يبشر به لن يكون ملطخاً بالدماء؟ كلا، كلا! ليست الحياة بريئة ولا يحيا المرء الا بافتراس الحياة. والتفكير - وهو ايضاً فعل من الافعال - له نصيب من القساوة الملازمة لكل فعل. لا توجد فكرة مسالمة قط، وكل فلسفة يراد ان تسود فهي حبلى بالخصومات والمظالم والشرور.

★

★ ★

التغيير شرط جوهري في الحياة. والمدن كالناس تبقى ما زالت متغيرة متطورة.

★

★ ★

نحن اذ زينا ملذاتنا، جوَّدنا ايضاً آلامنا.

★

★ ★

كلما تقدمت في السن ازددت يقيناً بان اندر

مظاهر الشجاعة هي الشجاعة الفكرية.

★

★ ★

وظيفة القاضي الجليلة هي ان يضمن لكلٍّ ما يخصه: للغني غناه وللفقير فقره.

★

★ ★

ان الاقيسة المنطقية لتحار امام البداهة ويمكن القول ان من المستطاع اثبات كل شيء خلا ما نحس انه حق. اما اذا عرض لنا موضوع عويص فالتدليل الآخذ بعضه برقاب بعض لا يدل الا على لباقة الفكر وشدة العارضة.

★

★ ★

اثمن الجوائز ما يوليك شرفاً دون منفعة.

★

★ ★

لبست طاعة الكاهن والجنديِ خلواً من روعة الجمال.

★

★ ★

ما الغرامة وعقوبة الاعدام ان لم تكونا السرقة والقتل يرتكبهما المجتمع بدقة جليلة؟ الا ترى ان قضاءنا في خيلائه وجبروته لا يؤدي إلا الى عار مجازاة الشر بالشر والبأساء بالبأساء فيضاعف، لحفظ التوازن والانتظام، هذه الجنح والجرائم؟

★

★ ★

اذا كان يخيل لنا في مهزلة هذه الحياة الجديرة بالاشفاق ان الملوك يأمرون والشعوب يطيعون، فهو خيال ووهم باطل. الحقيقة انهم مساقون جميعاً، على السواء، بقوة غير منظورة.

★

★ ★

باي حق ينزل الآلهة الخالدون رجل الخير والصلاح

الى دركات الثواب؟ ان جزاء الخير هو في عمل الخير نفسه وليس في خارج الفضيلة ثمن جدير بها. فلندع للنفوس الحقيرة خوف العقاب وامل الثواب لتأييد شجاعتهم الدنيئة؛ ولا نحبب في الفضيلة الا الفضيلة عينها.

*

* *

ان الماضي كالمستقبل مغيَّب عنا. نحن نعيش بين ظلمتين كثيفتين، في نسيان ما كان وفي الريب مما سيكون. ومع ذلك فان الفضول يدفعنا الى معرفة علل الاشياء، والقلق يغرينا بالنظر في مقدرات العالم والانسان.

*

* *

لا نضيِّع شيئاً من الماضي فان من الماضي يُصنع المستقبل.

*

* *

الاهواء خصيبات الطمأنينة، هذا مسلم. ولكن لولاها لم يكن في الدنيا لا صناعات ولا فنون.

★

★ ★

للهوى كل الحقوق لانه يقتحم كل المخاطر والعقوبات. وليس هو بمنافٍ للاداب مهما ينتج من الشرور لانه يحمل في نفسه جزاءه الرهيب.

★

★ ★

لقد كنت على الدوام مؤثراً جنون الاهواء على ما في خلو البال او عدم الاكتراث من تعقل.

★

★ ★

الاهواء! لا ينبغي ان نطعن فيها. فان كل ما يعمل في الدنيا من الجلائل هو صنع يدها.

★

★ ★

ان الفقير الذي لا رغبات له يملك اعظم الكنوز:

هو مالك نفسه. اما الغني ذو المطامع فليس الا عبداً شقياً.

★

★ ★

لا جمال في الدنيا الا جمال الاهواء ولا نصيب لها من العقل. واجملها ايضاً ابعدها عن الصواب وهو العشق. هل كان في رأس روميو وجولييت ذرة من العقل؟ ولكن لله ما احبها الى النفس! يوجد هوى اقرب الى الصواب من سائر الاهواء وهو البخل. ولكن لله ما اشنعه وما اكرهه! كان دكنز يقول: «لا يسليني الا المجانين.» فيا لشقاء من لا يشبه في بعض الاحيان دون كيشوت فيحسب طواحين الهواء جبابرة يحاربون! لقد كان دون كيشوت العجيب ساحر ذاته فرفع الطبيعة وساواها بنفسه الكبيرة.

ومن كان كذلك فليس مخدوعاً ولا مغبوناً. انما المخدوعون الذين لا يرون امامهم شيئاً جميلاً او شيئاً جليلاً.

★

★ ★

لولا الحب لجهلنا الحد الذي يبلغ اليه صبر البشر وشجاعتهم.

★

★ ★

ان الحرب اليوم هي عار الانسانية وكانت من قبل فخرها. لقد اوجبتها الضرورة على الممالك فكانت مربية النوع البشري الكبرى. فيها مارس ابناء آدم الفضائل التي تشاد عليها الحضارات وتدعم بها قواعدها: علمتهم الصبر والحزم والاستهانة بالمخاطر ومجد التضحية. ويوم دحرج آلرعيان قطع الحجارة الضخمة ليبنوا منها سوراً يحامون وراءه عن نسائهم وثيرانهم، أنشىء اول مجتمع انساني وضمن ترقي الصناعات. وهذا الخير العظيم الذي ننعم به اعني الوطن او المدينة او ذلك الشيء الجليل الذي عبده الرومان ورفعوه فوق الآلهة، انما هو ابن الحرب.

كانت اول مدينة سوراً حصيناً، وفي هذا المهد الخشن الدامي تغذت الشرائع القدسية والصناعات الجميلة والعلوم والحكمة. لذلك اراد الاله الحق ان يدعى اله الجيوش.

... ولكن ليست الحرب في مجتمعنا الحاضر الا داء وراثياً او رجعة فاسقة الى الحياة البربرية او حماقة مجرمة. فان امراء هذا العصر ولا سيما الملك المتوفي قد وسمت جباههم بالعار على انهم جعلوا الحرب لعبة يتلهى بها رجال البلاط. ويحزنني التفكير باننا لن نشهد ختام هذه المجازر المجمع عليها.

اما المستقبل، المستقبل الذي لا يسبر غوره، فأذن لي يابنيَّ ان اتمثله اقرب الى روح العدل والوداعة الذي يكنه فؤادي. فالمستقبل خير موضع نضع فيه احلامنا: فيه يبني الحكيم، كما في «الاوتوبيا» او مملكة الخيال. واود ان اعتقد ان البشر سيعرفون اخيراً الفضائل الهادئة. فاني لأجد علامة السلام العام البعيدة، في ذات تكاثر التسليح وتعاظمه. ان الجيوش لا تفتأ في ازدياد، عدة وعدداً. وستقع ذات يوم في مهاويها السحيقة شعوب برمتها. وحينئذ يموت الوحش بداء الشبم وينفجر لفرط السمن.

لم يبق لنا الا اجلال الماضي ديناً. وفي هذا الدين صلة العقول المجددة، بعضها ببعض.

ينعم المرء اذ يعيش بمخيلتـــه في المـــاضي نعـــيم الشعراء. ولكن فلنعلم ان سحر الماضي ليس الا من احلامنا وان العصور الغابرة التي ننشق عرفها بلذة، كان لها في جدتها ما لكل الاشياء التي تجري في وسطها الحياة الانسانية، من طعمٍ عادي داعٍ الى الحزن.

★

★ ★

كبار الشعراء هم لكل الناس. اما صغارهم فاحق بالغبطة ايضاً لان شعرهم لذة للمترفين الذين لا يقنعون بما يقنع به العامة.

★

★ ★

لا يلبث الرجل الذي ينظر في اعماله بعين العقل ان يرى ان ما خلص منها وتنزه عن الشوائب قليل جداً. ينبغي ان تكون كاهناً او جندياً لتجهل مخاوف الشك وتنجو من جزعه.

★

★ ★

لا نعجب بانفسنا ولا نحسب اننا خيار فنحن لسنا خياراً. واذا نظرنا الى ذواتنا فلنكشف عن وجهنا الحقيقي فهو خشن فظ كوجه آبائنا. وامَّا ولنا عليهم فضل ماضٍ ابعد وتقليد اطول من ماضيهم وتقليدهم فلنعرف بالاقل استمرار جهلنا ودوامه.

★

★ ★

ليس ما يحدث في نفوسنا ابلغ اثر وابقاه، كائنات حقيقية بل كائنات خيالية.

★

★ ★

لا مسرة الا في الوهم ولا طمأنينة الا في الجهل.

★

★ ★

امَّا والقانون موضوع لحماية المجتمع فلا يمكن ان يكون اقرب الى معنى العدل من المجتمع نفسه. وما دامْ المجتمع قائماً على الظلم فسظل القوانين عاملة على حماية الظلم وتأييده.

... ثم ان هذه القوانين على الأغلب عتيقة. لا تمثل ظلامة حاضرة بل ظلامة غابرة واذاً اخشن واشد قسوة. هي صروح عصر السوء لا تزال قائمة في زمن ارق وأحلم.

★
★ ★

ما كان الجبن قط دليل التعقل.

★
★ ★

تقول المدينة الصغيرة للمسافرين الذين يتأملونها من اعالي الاكمة:

«انظروا! اني عجوز ولكنني جميلة. لقد طرّز ابنائي البررة ثوبي بالقلاع والقباب والقصور والبروج. اغذي ابنائي بين ذراعي، فاذا قضوا اشغالهم انصرفوا بعضهم إثر بعض، ليناموا عند قدمي، تحت العشب الذي يرتعيه الخرفان. يمضي ابنائي ويموتون ولكنني أبقى لحفظ ذكراهم، فكأني حافظتهم. لذلك هم مدينون لي بكل شيء، لان الانسان ليس انساناً الاّ لانه يذكّر. لقد مزقت الحروب ثوبي وخرقت صدري،

واصبت بجراح زعموا انها مميتة. لكنني ما زلت حية لاني رجوت، فتعلموا مني هذا الرجاء القدسي الذي ينجي الوطن. انظروا الى هذه العين الجارية، وهذا المستشفى، وهذه السوق التي اورثها الآباء ابناءهم. اعملوا لاولادكم كما عمل والدوكم لكم. ان كل حجر من حجارتي يوليكم نعمة ويعلمكم واجباً. انظروا الى كـــاتـــدرائيـــتي، انظروا الى ملجـــأي، انظروا الى مستشفاي، وكرموا الماضي. ولكن فكروا ايضاً في المستقبل فيعلم ابناؤكم اي جواهر حليتم بها، اذ اتى دوركم، ثوبي الحجري.»

★

★ ★

كلمتا (الحقيقة) و(العدل) يكفي ان لا تحددهما لتفهم معناهما الصحيح. ان في هاتين الكلمتين بحد ذاتهما لجمالاً يضيء ونوراً سماوياً.

★

★ ★

لا يستطيع احد ان يجزم بان المذهب الذي تبدو

في النتائج الاولى اضراره ومساويه لن يكون في الغد نافعاً كثير الخيرات. فكل الافكار التي يقوم المجتمع عليها اليوم كانت ضارة متلفة قبل ان تصبح واقية محسنة. وباسم المصالح الاجتماعية التي يتوسل بها المسيوبرونتيار، حوربت في الماضي مبادىء التساهل والانسانية زمناً طويلاً.

★

★ ★

يجمل بنا ان نرد العدل البشري الى مبدئـ الحقيقي اعني مصلحة الافراد المادية، وان نعريه م زخرف الفلسفة العالية التي يترداها، رياء باطا وفخفخة فارغة.

★

★ ★

كل ما فكر فيه امرؤ واعتقده في حياته القصي هو جزء من هذه الحقيقة اللامتناهية. وكما انه يد كثير من الاقذار فيما يدعونه (العالم) اعني الترتيـ والانتظام والنظافة، فكذلك حكم المجانين والاشرا وهم الاغلبية، مستمدة من (الحقيقة) الكلية التي

مطلقة دائمة الهمية.

*

* *

قلما يسئمني الذين لا يتكلفون بل يظهرون كما هم في حقيقتهم، وقد يسلونني.

*

* *

المجد كالحسناء لا يمنح نفسه الا لخاطب.

*

* *

لا انكر ان الحرية رأس الخيرات للامة. ولكن كلما تقدمت في السن ازددت يقيناً بانه لا يضمن الحرية للافراد الا حكومة قوية. اني تقلدت خلال اربعين سنة اعلى مناصب الدولة، فعلمني الاختبار الطويل ان الشعب متى كانت حكومته ضعيفة ظلم واضطهد. لهذا فان اولئك الخطابيين الذين يعملون لاضعاف السلطان يرتكبون اشنع الجرائم. واذا كان الملك المطلق يصرف ارادته احياناً الى وجوه الشر فان

من المستحيلات تقرير امر من امور الدولة بناء على اتفاق المجموع. وقبل ان يغمر السلم الروماني العالم باسره لم تسعد الامم الا في عهد المستبدين الاذكياء.

★

★ ★

كان الرئيس غريفي موفور العقل فالغى عقوبة الاعدام بالفعل فلم تنفذ في عهده قط. ليت الذين خلفوه اقتدوا به! فان امان الافراد في المجتمع الحاضر لا يقوم على خوف العقاب. وبعد فقد نسخت شريعة القتل في ظهراني فريق من الامم الاوروبية فلم نر ان الجرائم فيها زادت على جرائم البلدان التي احتفظت بهذه الفعلة الشنعاء. بل ان عقوبة الاعدام في هذه البلاد نفسها سائرة الى الاضمحلال. لا حول لها ولا فعل، كأنها اضاعت اصلها الذي تصدر عنه. ان مبدأي العدل والحق اللذين كانا في الماضي يسقطان رؤوس الخلق بابهة وجلال قد تزعزعت اليوم اركانها بسطوة المبادىء الاخلاقية الجديدة التي نشأت عن تقدم العلوم الطبيعية. فأما ونحن نرى رأي العين عقوبة الموت تموت؛ فمن الحكمة ان ندعها تموت.

متى يشتبك البيض بالصفر او بالسود يجدوا انفسهم مكرهين على ابادتهم اذ لا يغلب المتوحشون الا بتوحش بالغ الاتقان. وهذا هو الحد الذي تنتهي عنده المشاريع الاستعمارية كلها.

*

* *

لا مراء في انه ستقع ايضاً حروب كثيرة. فان الغرائز الوحشية والاطماع الفطرية والكبرياء والجوع التي اقلقت العالم خلال عصور متطاولة ستستمر على اقلاقه ايضاً. وهذه الكتل البشرية الكبرى الآخذة اليوم في التألف لم تجد بعد قاعدتها ولم توفق الى توازنها. كذلك فان تداخل الشعوب بعضها في بعض لم ينتظم الانتظام الكافي لضمان الرفاه العام بحرية المبادلات ويسرها. كما ان الانسان لم يصبح بعد محترماً في نظر الانسان، ولم تتساو اجزاء البشرية في دنوها من روح الاشتراك والتعاون لتكون جميعاً كالحجيرات والاعضاء في الجسد الواحد. وليس بمقدرٍ حتى لاحدثنا سناً ان يشهد ختام عهد السلاح. بيد ان تلك الايام السعيدة التي لن نعرفها، نحن نحس مجيئها. فاذا مددنا

الى عالم الغيب هذا الخط الذي نرى بدايته، كان في وسعنا ان نرى مواصلات اوفر واكمل بين الامم والشعوب، وشعوراً اعم واقوى بالتضامن الانساني، وتنظيماً افضل للعمل، وبالنهاية قيام «الدول المتحدة» في العالم باسره.

وسيتحقق السلم العام ذات يوم لا لان البشر يصبحون خيراً مما كانوا (هذا لم يؤذن لنا ان نرجوه) بل لان نظاماً جديداً للاشياء، وعلماً جديداً، وضرورات اقتصادية جديدة ستلزمهم بحالة السلام كما كانت ضرورات الحياة في الماضي ترميهم في حالة الحرب وتبقيهم فيها.

★

★ ★

يلوح لي ان الانسان انما يشقى لافراطه في اجلال نفسه وفي الثقة بالناس. فلو كان رأيه في الطبيعة البشرية أصح واقرب للتواضع لاصبح في احكامه على نفسه وعلى الناس ارق واحلم.

ان مجتمعنا واأسفاه! مملوء صيادلة يخافون المخيلة. هم في ضلال لان المخيلة هي التي تبذر باكاذيبها بذور

الجمال والفضيلة في هذه الدنيا، ولا يكون المرء عظيماً الا بها. فيا ايها الامهات! لا تخشين ان تضل المخيلة ابناءكن؛ فانها على الضد من ذلك تقيهم الخطايا الدنيئة والاغلاط السهلة.

★

★ ★

يمكن ان نعرِّف الانسان هكذا: الانسان حيوان ذو بندقية. هب له بذلة جميلة وامل المضي الى الحرب يطب نفساً. لهذا جعلنا الجندية اشرف المهن، وهو الصواب من جهة انها اعرقها في القدم لان ابناء آدم الاولين تقاتلوا اولاً.

والجندية ملائمة للطبيعة الانسانية من جهة ان الانسان في الجيش لا يفكر مطلقاً، ومن البيِّن اننا لم نخلق لنفكر. فالتفكير داء خاص ببعض الناس، اذا عمَّ كان منذراً بفناء النوع.

ويعيش الجنود جماعة، والانسان حيوان اجتماعي. ويلبسون ملابس زرقاء بيضاء وزرقاء حمراء ويتزينون بالحرير والريش، مما يجعل لهم على البنات فضل الديك على الدجاجة.

والجنود في الحرب يطمعون في السلب والسبي، والانسان سراق شهواني مخرب محب للمجد، بالطبع ان حب المجد هذا هو الذي يهيب بقومنا الفرنسيس خاصة الى حمل السلاح. وحسبك، لتتيقن من ذلك، ان تقرأ التواريخ.

★

★ ★

نظرت ملياً في فلسفة القانون فعلمت ان العدل الاجتماعي بتمامه يقوم على قاعدتين: اولاهما ان السرقة محرمة، وثانيتهما ان ثمرة السرقة مقدسة. هذان هما المبدآن اللذان يكفلان للافراد السلامة وللدولة الامن والنظام. فاذا جحد احدهما او غفل انهار البناء كله.

وضع هذان المبدآن في فجر التاريخ يوم تقدم الرئيس رجاله وهو مكتس جلد دب، مسلح بفأس من الصوان، متقلـــد خنجراً من نحاس، فـــدخلوا السور حيث تركوا اولاد القبيلة مع قطعان النساء والوعول. عادوا يسوقون ابناء القبيلة المجاورة وبناتها ويحملون الحجارة الساقطة من السماء، الثمينة لان منها تصنع السيوف التي لا تنثني. فوقف الرئيس على مرتفع من

الارض في وسط الحمى وقال: غنمت هؤلاء العبيد وهذا الحديد من القوم الضعاف اللئام، فهم لي. ومن مد الى عبيدى وحديدي يداً أهويت على رأسه بهذا الفأس.

وهذا هو اصل القوانين. روحها عريق في القدم والبربريه. والعدل يطمئن كل الناس لانه يحمي كل المظالم.

★

★ ★

لا ارى فرقاً عظيماً بين الكل واللاشيء، ويبدو لي ان اللسان عاجز عن التمييز بينهما. ان اللانهاية تشبه العدم شبهاً تاماً فكلاهما يستحيل تصوره. ورأيي ان الكمال يكلف ثمناً غالباً فهو انما يُشرى بالوجود، ويجب على من شاء ان يوصف به ان يضيع وجوده. تلك بلية لم يسلم منها الله نفسه منذ خطر للفلاسفة ان يجعلوه كاملاً. فاذا كنا بعد هذا لا نعلم ما العدم فنحن نجهل ايضاً ما الوجود ونحن بالجملة لا نعلم شيئاً

يقولون ان من المستحيل ان يتفاهم البشر. اما انا فاقول: من المستحيل، رغم ضجيج المجادلات ان لا

يتفقوا في النهاية، متى دفنوا جنباً لجنب تحت ركام المناقضات التي يجمعونها من اقدام الازمنة حتى بنوا منها جبلاً فوق جبل.

★

★ ★

ليس الموقف او الحادث في القصص لمن يوفق اليه اولاً، بل لمن يثبته بقوة في حافظة البشر.

يحسب ادباء العصر ان الفكر او المعنى مما يصح ان يكون ملكاً لواحدٍ دون سائر الناس. وهذا حسبان لم تعرف العصور الخالية له مثيلاً. لان السرقة الادبية لم تكن يومذاك مثلها في هذه الايام. ويبدو لي ان الرأي القديم في هذا الصدد خيرٌ من الرأي الحديث، لتجرده وسموه وموافقته لمصالح جمهورية الآداب. فالكاتب الذي لا يأخذ من غيره الا ما كان حسناً مفيداً ويختار ويحسن الاختيار، هو رجل فاضل مستقيم.

★

★ ★

سذاجة الفلاسفة لا يسبر غورها.

★

★ ★

يقال ان الفلاسفة الذين يبحثون عن المبادىء والعلل هم كالفيلة التي اذا مشت لم تضع على الارض القدم الثانية الا متى ثبتت القدم الاولى.

★

★ ★

حقٌ لكل عالم بل فرض عليه، اذا كان عنده رأي في هذه الكون، ان يبديه مهما يكن رأيه. وعلى من حسب انه يعرف الحقيقة ان يذيعها، فان هذا مما توجبه كرامة العقل البشري. ولكن آراءنا في الطبيعة ليست، اذا رددناها الى اصولها؛ لا كثيرة العدد ولا حسنة التنوع. فالانسان منذ قدر على التفكير لا يفتأيدور في دائرة من النظريات واحدة. لقد اثير الخلاف والجدل حول حرية الفكر وسيظلان مثارين. ألا ان حقوق الفكر فوق كل شيء، واجل مفاخر المرء ان يجرأ على إبداء كل الاراء. اما السيرة في الحياة فلا ينبغي ان تكون متوقفة على مذاهب

الفلاسفة المجردة.

★

★ ★

ان رجلاً وحده لشيء يسير وان يكن رجلاً عظيما
لا يعلم الناس جيداً هذه الحقيقة وهي ان الكاتب
مهما يكن مطبوعاً فهو يستعير اكثر مما يخترع. ليست
اللغة التي يكتب بها ملكاً له، ولم يخلق القالب الذي
يصب فيه فكره من الموشح الى الرواية التمثيلية
فالقصة. وهو ايضاً لا يملك لا نحوه ولا عروضه. ب
ماذا اقول. ان نفس معانيه وافكاره تلقى اليه م
كل ناحية. لقد اعطي الالوان هبة وهو لا يعطي ا
دقائقها التي لا انكر انها جد ثمينة في بعض الاحيان
ليكن لنا اذاً من جودة العقل ما يكفي للاقرار با
مؤلفاتنا ليست لنا بتامها. أجل، انها تنمو فينا ولكن
جذورها محجوبة في الارض الخصيبة التي تغذيها. لن
بانا مدينون للناس جميعاً بالشيء الكثير، وب
الجمهور الذي نزف اليه مؤلفاتنا هو شريكنا فيها

★

★ ★

ان امراض النفس والجسد تهب احياناً المبتلين بها قوى لا يملكها الاصحاء. والحقيقة ان الصحة الجيدة والصحة الرديئة لا وجود لهما، فليس ثمة الا حالات للاعضاء مختلفة. لقد درست الامراض درساً وافياً ادى بي الى اعتبارها الصور اللازمة للحياة. واني لاجد في دراستها لذة تربو على لذة محاربتها. فان منها ما لايستطيع المرء ان يراه الا معجباً مأخوذاً به كتلك التي تخفي، تحت عوارض الاختلال؛ انتظاماً عميقاً، ومن المؤكد ان حمى الربع شيء جميل. كذلك قد تكون امراض الجسد دواعي الى اثارة قوى النفس واعلائها فجأةً.

لست اظن سوءاً لأني اعتقد ان البشر عاجزون عن اتيان الشر والخير على السواء. بل لا وجود للخير والشر الا في رأي الناس. والعاقل من اتبع في اعماله العرف والعادة، ليس الاّ.

★

★ ★

ان المرأة لا تجلب للرجال اللذة بل الحزن والقلق والهموم السود، والحب علة آلامنا اللاذعة. اسمع ايها

الغريب: اني ذهبت في صباي الى تريزين من اعمال الأرغوليد، فرأيت فيها آسة لا مثيل لها في العظم، ملأت اوراقها وخزات لا يحصيها العد. واليك ما يقوله اهل البلد في شأنها: زعموا ان الملكة فيدر لما احبت هيبوليت كانت تقضي سحابة يومها مضطجعة في برح الوجد، تحت هذه الشجرة الباقية الى يومنا هذا. فكانت في سأمها المميت تأخذ الدبوس الذهب الذي يمسك شعرها الأشقر وتخز به اوراق الشجرة ذات الحب العاطر. وهكذا اثخنت الاوراق كلها وخزاً. وبعد ان اضلت فيدر ذلك الفتى البريء الذي كانت تلح عليه بهواها الحرام، ماتت كما تعلم شر ميتة. اختلت في مقصورة العرس وشنقت نفسها بزنارها المذهب معلقاً بمسار من العاج. وبمشيئة الآلهة ظلت الآسة التي شهدت الفاجعة تحمل اوراقها الجديدة وخزات الدبوس. لقد قطفت احدى هذه الأوراق ووضعتها على وسادة مضجعي لتحذرني على الدوام عواقب الاستسلام لجنون الحب ولتثبتني على مذهب استاذي ابيقور الآلهي الذي يعلم ان الشهوة مخوفة. ولكن الحقيقة هي ان الحب داء في الكبد ولا يأمن

احد قط ان يصيبه الداء.

★

★ ★

لماذا تريدون ان يعامل الغني الفقراء بغير ما يعامل الاغنياء والقادرين؟ انه يفي الدين الذي لهم عليه واذا لم يكن لهم شيء فهو لا يؤديهم شيئاً. هذه هي الاستقامة بعينها.

اذا كان مستقيماً فليعامل الفقراء على هذه الصورة. ولكن لا تقل ان الاغنياء ليسوا مدينين للفقراء بشيء فانك لن تجد غنياً واحداً يقول هذا القول. غاية ما في الأمر ان الشكوك تحوم حول مقدار الدين ولا يرغب الأغنياء في الخروج من هذه الشكوك لأنهم يؤثرون البقاء في حالة الابهام: يعلم الغني انه مدين لكنه لا يعلم مقدار الدين، فهو يؤدي حيناً بعد حين دفعة صغيرة على الحساب. هذا هو الاحسان وهو في مصلحة الاغنياء.

★

★ ★

ان ما تحرمني الشيخوخة منه، اذا شئت ان تعلمه هو ما تحرم منه جميع الذين يمسهم سوءها: تصرف عني عين الرضى من التي هي نعيم البشر والآلهة. اجل، ان هذه لم تخصني بحظوة عظيمة، بيد انها انعمت علي، لحبي اياها، برؤية جمال الاشياء والتمتع بالملاذ الوحيدة التي تجعل حمل الحياة الطاقة البشرية. ولكن هذه الآلهة واأسفي! لا تعرف الشيوخ.

★

★ ★

للمتوحشين عادة لا استنكرها وهي انهم يصعدون شيوخ القبيلة الى شجرة ثم يهزون بجزعها. فمن لم يجد منهم قوة على الاستمساك بغصنه فسقط، قتلوه.

★

★ ★

يشكرون الله على انه خلق هذه الدنيا ثم يشكرونه على انه خلق الدنيا الآخرة التي تُرد فيها مظالم تلك وتصلح مساويها.

★

★ ★

... ان المبادىء الاجتماعية لأسرع تبدلاً من آراء الفلاسفة. كذلك هي لا تقوم على اساس مكين، فلا يكاد الفكر يلامسها حتى ينقض بنيانها.

★

★ ★

يتبادل البشر القبلات من عهد بعيد جداً، فيا للعجب أن لا يزال ايضاً في الحب اسرار مجهولة. والعشاق يعلمون من ذلك اكثر مما يعلم المنجمون.

★

★ ★

كل ما تدركه الحواس ممقوت. في اصغر حبة رمل خطر عظيم. كل شيء يغوينا وليست المرأة الا مجموعة كـل الغوايـات المبـددة في النسيم الخفيـف والارض المزهرة والمياه الصافية. طوبى لمن كانت نفسه إناء مختوماً! طوبى لمن قدر على ان يخرس لسانه ويعمي عينيه ويصم اذنيه فلا يعرف من الدنيا شيئاً ليصل الى معرفة الله.

★

★ ★

لينظر جبــابرة الارض الى مواطىء اقــدامهم، لينظروا الى الشعوب التي يقهرونها والمبادىء التي يزدرونها، فان من ثمة سوف تخرج القوة التي تصرعهم.

★

★ ★

تتعاون الشعوب القوية على اقرار النظام وانماء الـثروة في العـالم. امـا الشعوب الضعيفـة، كـالـترك والصين، فهي علة دائمة للقلاقل والشرور.

★

★ ★

ان الادلة على حرية الانسان قليلة جداً حتى اني انأخذني الرجفة كلما فكرت في الاحكام التي يعاقب بها القضاء على اعمال يغيب عنا مبدؤها وسياقها وسببها على السواء، وليس للارادة فيها نصيب يذكر بل يأتيها المرء احياناً دون معرفة.

ماذا يجدي ان العدل في القوانين اذا لم يكن في القلوب؟ واذا كانت القلوب مؤذية فهل يجدي ان العدل في القانون؟ لا تقولوا: «نسن شرائع عادلة

ونعطي كل واحد حقه.» فلا رجل عادل، ولسنا نعلم ما ينفع الناس: نحن نجهل على السواء ما هو حسن لهم وما هو سيء. وكل مرة احب فيها الامراء ورؤوس الجمهورية العدل كانوا سبباً في هلاك كثير من الناس

لا تعطوا المسَّاح الشرير مقياساً وبركاراً لئلا يقسم بالمقاييس العادلة قسماً غير عادلة، ثم يقول: «انظروا اني احمل المقياس والقاعدة والبركار فانا اذاً مساح جيد.» ما دام البشر قساةً بخلاء فهم يضعون القسوة والظلم في ارق الشرائع واعدلها، وينهبون اخوانهم بالفاظ الحب والعطف. فعبثاً تكشفون لهم عن كلمة المحبة وشريعة الرفق.

لا تعارضوا شريعة بشريعة. ولا تنصبوا الواح الرخام والنحاس في وجه الانسان. فان ما كتب على الواح القانون مكتوب باحرف من الدماء.

★

★ ★

من العسير على الاغنياء سواء في ذلك اليهود ام النصارى ان يكونوا منصفين. ولكن متى اصبحت الشرائع عادلة يصبح الناس عادلين. وهؤلاء

الاشتراكيون والاحرار يهيئون المستقبل منذ الآن بمحاربة الاستبداد وبث كراهة الحرب وحب النوع الانساني في ظهراني الشعوب. يمكننا اليوم ان نعمل قليلاً من الخير وهذا وحده ما يجعلنا اذا متنا نموت لا يائسين ولا غضاباً، وان يكن من المؤكد انا لن نشهد فوز آرائنا.

*

* *

يقوم المجتمع الانساني على اساس مقدس من البخل والقسوة.

*

* *

جاء اوريبيدس وجعل مقدرات الانسان في الانسان نفسه، وعيَّن بواعث اعماله. وكان اول من اظهر جمال تلك الامراض النفسانية التي لا اشك في انها اجمل واثمن من الصحة واعني الاهواء.

*

* *

لا يعرف المرء عدم التبصر الا من قبل اهوائه.

★

★ ★

ان الهوى الشديد لا يدع لصاحبه برهة راحة وهذه هي حسنته وفضيلته. ان كل شيء هو خير من ان ترى انك تحيا.

★

★ ★

هؤلاء الرجال وهؤلاء النساء صغار لا شأن لهم في نفسك. ولكن اعطهم شيئاً واحداً يعوزهم يصبحوا حساناً ويأخذوا بلبك. ليعرفوا الحب وليكن في قلوبهم شعوراً صادقاً وعاطفة بليغة تلقي بعضهم بين ذراعي بعض فهم اذاً لاصغار ولا مزدرون بل هم على الضد من ذلك يجذبون نفسك. واذا مروا بنا قلنا:«ان هؤلاء لسعداء. لقد أنزلوا السماء على الارض. ان احدهم في عين صاحبه صورة الكمال الحية. انهم يضعون اللانهاية في برهة ويحققون الله في هذه الدنيا. ينبغي ان نغبطهم حتى على آلامهم لأنها تتضمن من المسرات اكثر مما تتضمنه سعادة سائر الناس.»

★

★ ★

الفكر شيء مخوف. اذاً فلا نعجب من ان البشر يخشونه بالفطرة. لقد قاد ابليس نفسه الى العصيان ومع ذلك فقد كان ابليس من ابناء الله هو الحامض الذي يحل الكون بحيث انه اذا اخذ الناس جميعاً يفكزون في وقت معاً فان هذا الكون يصير الى العدم. ولكن هذه النكبة ليست مما يخشى وقوعه.

★

★ ★

التفكير داء وبيل.

★

★ ★

ان الذين لايفكرون الا قليلاً او لايفكرون مطلقاً يقضون حوائجهم على احسن حال في هذه الدنيا والآخرة اما الكثير والتفكير فهم ابداً مهددون بالخسران روحاً وجسداً لكثرة ما في الفكر من خباثة!

★

★ ★

ماذا تكون بوادي الحياة لولا سراب افكارنا الساطع؟

ان افعالنا ليست منا تماماً بل هي للاقدار اكثر مما هي لنا. نحن نعطاها جاهزة ولا نستحقها دائماً.

★

★ ★

الجهل شرط لازم، لا اقول في السعادة، بل في الوجود نفسه. لو كنا نعلم كل شيء اذاً لما استطعنا الصبر على الحياة مقدار ساعة. فان العواطف التي تجعل الحياة هنيئة او بالاقل محتملة، تتولد عن اكذوبة وتتغذى بالاوهام.

ولو ان رجلاً سما الى مقام الألوهية فأمسك الحقيقة، الحقيقة الواحدة الكلية، وتركها تسقط من يده، لاضمحل الكون فجأة وتبدد الوجود كالظل. فان الحقيقة الآلهية كالحساب الاخير قادرة على ان تجعل الكون هباء منثوراً.

★

★ ★

يأتي حين يصبح فيه التطلع خطيئة، وقد لزم الشيطان دائماً جانب العلماء.

★

★ ★

سأمة الشعراء سأمة مذهبة فلا تفرطوا في الرثاء لهم: ان الذين يغنون قادرون على ان يسحروا يأسهم ولا سحر اقوى من سحر الكلام. والشعراء كالاطفال يعزون انفسهم بالصور.

★

★ ★

العمل يجعل الحياة سعيدة احياناً، ومحتملة دائماً.

★

★ ★

من قال: جيران، فكأنه قال: اعداء. انظر الى هذا الحقل الذي يتصل بحقلي: هو لأبغض الناس عندي. ويأتي بعده في البغض ابناء القرية التي تتسلق المنحدر الآخر من الوادي عند تلك الغابة. لا يوجد في هذا الوادي الصغير سوى تلك القرية وقريتنا. وكلما التقى صبياننا وصبيانهم تبادلوا الضرب والشتيمة.

★

★ ★

اعرف بنية بلغت تسعاً من السنين هي احكم من الحكماء.. قالت لي منذ هنيهة:

؟انا نرى في الكتب ما ليس بوسعنا ان نراه بالفعل إما لانه بعيد جداً واما لانه في الماضي. لكن ما نراه في الكتب لا نراه جيداً، ونراه بشكل محزن.. اذاً لا ينبغي للصغار ان يقرأوا في الكتب. يوجد اشياء كثيرة جديرة بان يروها ولم يروها: البحيرات والجبال والانهار، والمدن والارياف، والبحر ومراكبه، والسماء وكواكبها!»

انا من رأيها تماماً. نحن نعيش ساعة من الزمن فلماذا نحمل انفسنا كل هذه الاعباء؟ علام نتعلم كثيراً اذ نحن موقنون بانا لن نعلم شيئاً؟ نحن نعيش في الكتب أكثر مما ينبغي، وفي الطبيعة دون الكفاية، فنشبه ذلك الأبله بلينوس الاصغر الذي كان يدرس احد خطباء الاغريق بينما كان بركان فيزوف يدفن على مرأى منه خمس مدن تحت الرماد.

★

★ ★

كلما فكرت في الحياة الانسانية ازددت يقيناً بانه

ينبغي ان نشهد عليها شاهدين او نقاضيها الى قاضيين، هما السخرية والشفقة، كما كان المصريون يحاكمون موتاهم الى الآلهة ايزيس والآلهة نفتيس. السخرية والشفقة ناصحتان امينتان: الاولى تحبب الينا الحياة بابتسامها، والاخرى تجعلها مقدسة ببكائها. وليست السخرية التي اعنيها قاسية ولا موجعة، كما إنها لا تستهزىء بالحب ولا بالجمال. هي رفيقة سمحة تهدىء بضحكها ثورة الغضب وتعلمنا ان نسخر من الاشرار والحمقى الذين نبغضهم لولاها، والبغض ضعف يشيننا.

★

★ ★

ان تأثيرات النور والهواء الخفية، اعني الوف الآلام التي تنشأ عن الطبيعة باسرها، هي جزية تؤديها الخلائق الحساسة التي تلتمس مسراتها في الصور والالوان.

★

★ ★

في الشعوب المتمدنة بربرية خاصة تزيد عما تخيله

البرابرة اجمعين. فان العلاّمة الجنائي شرٌّ من شر المتوحشين، ومحب الانسانية الحديث يخترع ضروباً من التعذيب لم تعرفها فارس والصين. كان جلاد الفرس يميت السجناء جوعاً، فوجب ان يأتي محب الانسانية ليتخيل قتلهم بالعزلة، وهذا هو بعينه «الحبس المنفرد» الذي لا تقاس بفظاعته فظاعة قط. لكن المبتلى به لحسن طالعه، يضيع رشده فيخلصه الجنون من الشعور بآلامه.

ويتوسلون الى تبرير هذا المقت بزعمهم انه يجب ابعاد المحكوم عليه من آثار السوء التي يحدثها فيه امثاله، وجعله في حالة لا يستطيع معها اقتراف الموبقات والجرائم. ان الذين يدللون هكذا هم حمقى الى حد لا يسعنا معه ان نقول انهم منافقون.

★

★ ★

حينما يقول امرؤ ان الحياة حسنة او يقول انها سيئة فهو يقول ما لا معنى له البتة. يجب ان نقول انها حسنة سيئة معاً، لاننا نستمد منها، منها وحدها، فكرة الحسن والسيء. والحقيقة ان الحياة لذيذة كريهة،

فتانة مخوفة، حلوة مرة، وانها كل شيء. مثلها الطيلسان في اقصوصة فلوريان: احدهم يراها حمراء، ويراها الآخر زرقاء، وكلاهما يراها كما هي بالفعل، لانها حمراء وزرقاء وفيها كل الالوان. وهذا من شأنه ان يوفق بيننا جميعاً وان يصلح بين الفلاسفة الذين يمزق بعضهم بعضاً. ولكن في فطرتنا ان نريد اكراه سائر الناس على ان يشعروا ويفكروا مثل شعورنا وتفكيرنا، وان لا نأذن لجارنا ان يكون فرحاً اذا كنا نحن محزونين.

ان شرور الناس تأتيهم من اوهامهم وتقاليدهم كما تدب العناكب والعقارب من ظلمه الاقبية ورطوبة الجنائن. فمن الحسن ان نُعمل المكنسة، بمثل خبط العشواء، في كل هذه الزوايا. ومن الحسن ايضاً ان نضرب جدران القبو والجنينة بالمعول، حيناً بعد حين. فان هذا من شأنه ان يرهب الهوام وان يمهد للتخريبات اللازمة.

★

★ ★

هذه مدينة مجيدة نبيلة. لكن النبالة ليست موزعة بين سكانها جميعاً، بل محصورة في فريق قليل منهم. بيد ان المدينة كلها والامة كلها انما تقوم ببعض افرادها الذين يفكرون تفكيراً اقوى واصح من تفكير الآخرين، ولا يعد ما بقي شيئاً مذكوراً. ان ما نسميه روح الامة لا يتوصل الى وجدان ذاته الا في اقليات تدق على الأبصار، وما أقل الافراد الذين يجرأون على التملص من مخاوف العامة، ويكشفون بايديهم الحجاب عن وجه الحقيقة!

★

★ ★

عواقب الحرب لا يحصيها حساب. تلقيت من صديقي الفاضل ويليام هاريسون رسالة ينبئني فيها ان العلم الفرنسي اصبح مزدرىً بانكلترة منذ سنة ١٨٧١، وان العلماء في جامعات اكسفورد وكمبريدج ودوبلن يتظاهرون باغفال «الموجز في علم الآثار» الذي وضعه موريس رينووار، رغم انه انفع للطلاب من اي كتاب آخر في موضوعه. ولكنهم لا يريدون ان يدرسوا في مدرسة المغلوبين، زاعمين انه يجب

للوثوق باقوال احد العلماء في خواص الفن الايجي واصول الخرافة الاغريقية، ان يكون ذلك العالم من امة تحسن صب المدافع. فاما والمرشال مكماهون قد غُلب في (سدان) سنة ١٨٧٠ والجنرال شانزي اضاع تلك السنة ايضاً جيشه في ولاية المين، فهذا صديقنا موريس رينووار تصده اكسفورد سنة ١٨٩٧ اقبح صدّ ولا تعبأ بمؤلفه القيم. هذه نتيجة بطيئة غير مباشرة ولكن مؤكدة، من نتائج الحرب كذلك لا سبيل الى انكار ان على قائم السيف يتوقف مصير الآداب والفنون.

★★

★ ★

قبل ان تغضب الا يسعك ان تحاول فهم ما يقال؟

★

★ ★

ليست مناقضاتنا ابعد ما فينا عن الحقيقة.

★

★ ★

لم يعوزني قط لاتمتع بالاشياء ان اكون مالكاً لها.

★

★ ★

الحياة هي الشهوة. وحسبما نخال الشهوة حلوة ام مرة نحكم بان الحياة سعيدة ام شقية.

★

★ ★

يسأم المرء كل شيء الا فهم كنه الاشياء.

★

★ ★

كنت في السادسة لما ابتليت بهذا التطلع العظيم الذي اصبح عذاب حياتي ونعيمها على السواء، ووقف نفسي على نشدان ما ليس لنفس ان تدركه.

★

★ ★

يقامر المقامر كما يعشق العاشق ويشرب السكير – بالضرورة، على العمياء، مدفوعاً بقوة لا تقاوم. يوجد اناس كتب عليهم القمار مثلما يوجد اناس كتب عليهم

الحب. من الذي اخترع حكاية ذينك النوتيين اللذين مسهما شيطان القمار؟ لقد غرقا ولم ينجوا من الموت، بعد اشد المخاطر هولا، الا لانهما امتطيا ظهر حوت. ولكن ما كادا يأخذان مكانهما حتى تناولا النرد وشرعا يلعبان. كل مقامر هو احد هذين النوتيين. ومن الثابت ان في القمار ما يهيج اعصاب كل جريء مقدام فليست باللذة الخسيسة لذة تجربة الاقدار، وليس بنعيم لا يسكر فيه نعيم الذين يذوقون في لحظة طعم شهور واعوام بل طعم حياة كاملة ملأى بالخوف والرجاء. كنت دون العاشرة يوم تلا علينا المسيو غربينه استاذنا في الصف التاسع حكاية «الانسان والجني». ولكن ما زلت اذكرها كأحسن مما لو سمعتها امس: يعطي الجني احد الصبية كبة خيطان ويقول له: هذا الخيط هو خيط ايامك، خذه! وكلما اردت ان تنقضي الايام فاجذب الخيط. فان الايام تمر بعجلة اذا حللت الخيط معجلاً، وبتؤدة اذا حللته متئداً. فان لم تمس الخيط قط بقيت من حياتك في الساعة التي أنت فيها. فاخذ الصبي الخيط وجذبه ليصير رجلاً، ثم ليتزوج الخطيبة التي يهواها، ثم ليرى بنيه

يترعرعون، ثم ليحرز الثروة الطائلة والرتب السنية، ثم ليجتاز الهموم وينجو من الاحزان والاسقام التي وفدت عليه مع السن، واخيراً يا حسرتنا! لينهي شيخوخة ثقيلة ناصبة. وهكذا عاش الصبي منذ جاءه الجني اربعة اشهر وستة ايام.

وهـل القمار الا فن يستحضر بـه المرء في لحظـة، كل الحوادث والتقلبات التي لا يرسلها القدر عادة الا في ساعات كثيرة او في عدة سنين؟ وهل هو الا فن يجمع به المرء في لحظة، كل الانفعالات المبددة في اعمار الناس الطويلة؟ هل هو الا وسيلة يحيا بها المرء في بضع دقائق، الحياة كلها؟ هل القمار الا خيط ذلك الجني؟ القمار جلادٌ بين الانسان والقدر، او صراع يعقوب والملك، او عهد الدكتور فاوست مع الشيطان؟ يقـامر الانسان عـلى المـال، والمـال هو الامكـان اللامتناهي في متناول يده. فرب ورقة تسحب او كرة تـدحرج، قـادرة عـلى ان تعطي المقـامر الحـدائـق والجنـائن، والحقول والغـابـات، والقصور المصعـدة بروجها في السماء. اجل ان في هذه الكرة الراكضة هكتارات من الارض الخصيبة، وسطوحاً من الصفاح

تنعكس مداخنها المنقوشة على مياه اللوار. فيها كنوز الفن وآيـات الـذوق. فيهـا انفس الجواهر، واجمل اجسام النساء، بل فيها ايضاً القلوب التي كنا نحسبها لا تشترى، وكل الاوسمة وكل المناصب العالية. فيها كل مافي الدنيا من نعمة ومن سلطان. ماذا اقول؟ فإن فيها ما هو خير من كل ذلك: فيها الحلم به.

وتريدون ان لا يقامر الانسان؟ لو ان القهار لا يعطينا الا آمالاً بلا حد، ولا يرينا الا ابتسام عينيه الخضراوين لما جننا به حباً. لكن له اظافر من الماس: هو هائل يعطي اذا شاء هواه، البؤس والعار ايضاً، ولذلك عبده الناس.

ان جاذبية الخطر لفي قرارة كل هوى شديد: لا لذة عظيمة بلا دوار. والنعيم الممزوج بالخوف يسكر، وهل اخوف من القهار؟ انه يعطي ويسلب وليست دواعيه دواعينا ولا يعنيه ما يعنينا. هو ابكم اعمى اصم. هو القادر على كل شيء. هو رب من الارباب.

هو آله له عابدوه. وله اولياؤه الذين يحبونه من اجل ذاته لا من أجل وعده ونواله: يعبدونه وإن

ضربهم. واذا افقرهم دون شفقة نسبوا الذنب الى انفسهم لا اليه وقالوا:

- انا لعبنا خطأً.

يتهمون انفسهم ولكن لا يكفرون.

★

★ ★

يقدر المرء بل يجب عليه ان يقول كل شيء اذا علم كيف يقول كل شيء. وان في سماع اعتراف صادقٍ الصدق كله لذةً لا توصف، ولكننا لم نسمع منذ وجد الناس اعترافاً كهذا: لم يقل واحد منهم كل شيء، لا ذلك الغيور القديس اوغسطينوس الذي لم يكن اكبر همه اظهار نفسه عارية كما هي بل افحام الزنادقة، ولا هذا المسكين روسو العظيم الذي كان جنونه يدفعه الى الافتراء على نفسه كذباً.

★

★ ★

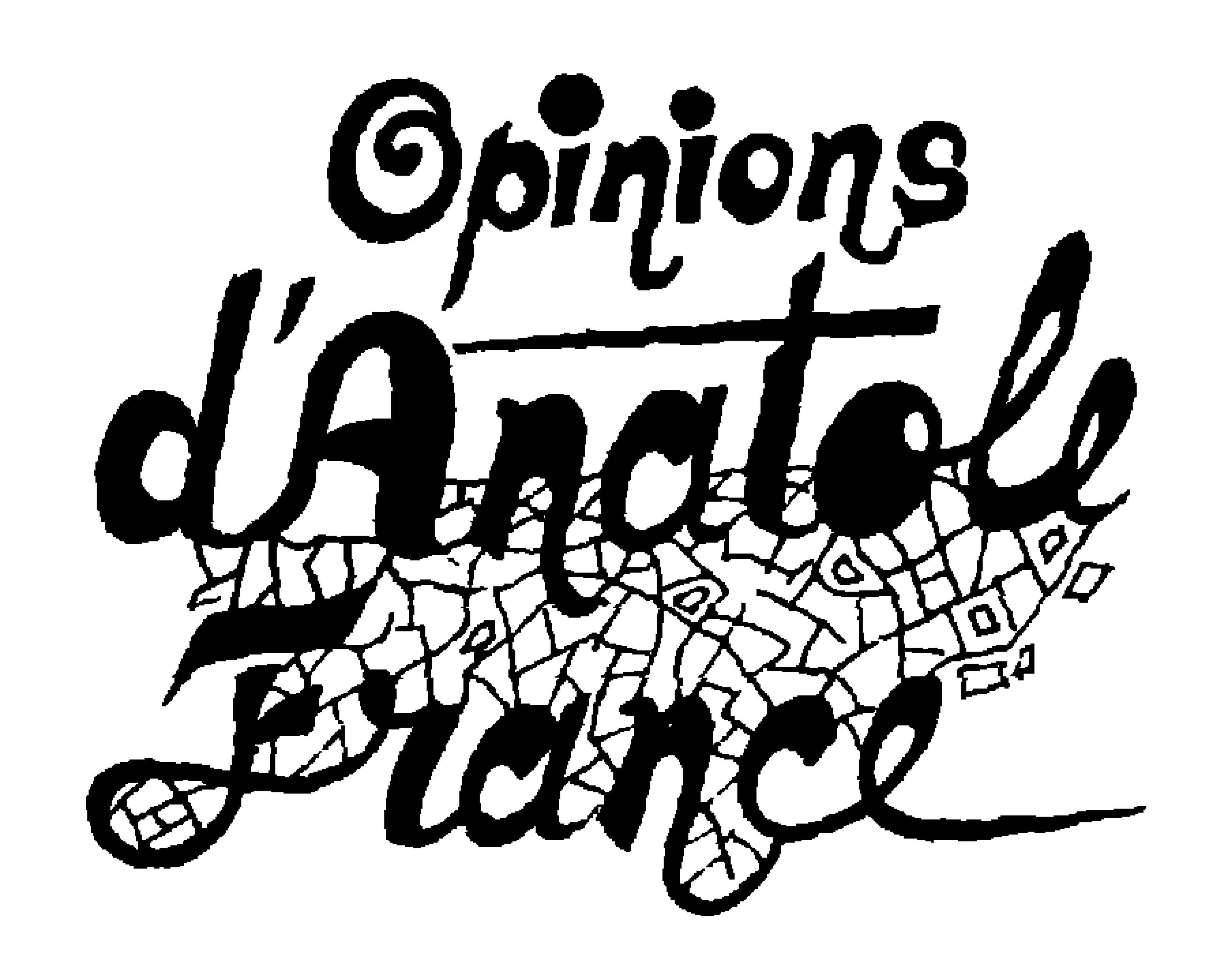
وجد التعصب في كل عصر. ما من دين الا كان له شيعته المتعصبون وبنا جميعاً ميل الى العبادة. كل

شيء فيما نحبه يبدو لنا حسناً. ويسوؤنا ان يدلنا دال على نقيصة في اوثاننا. ان الناس ليجدون مشقة كبرى في احلال قليل من النقد والتمحيص في اصول عقائدهم ومصدر ايمانهم. ولو كانوا يكثرون النظر في المبادىء لما آمنوا بشيء.

★
★ ★

ليست الكرة الارضية الأحّبة رمل في بادية العوالم اللامتناهية. ولكن اذا لم يوجد الالم الا في هذه الكرة فهي اذاً اعظم من الكون بأسره، وهي اذاً كل شيء وليس ما بقي شيئاً، اذ لن يوجد في ما عداها فضيلة ولا نبوغ. وهل النبوغ الا فن لرقية الألم؟

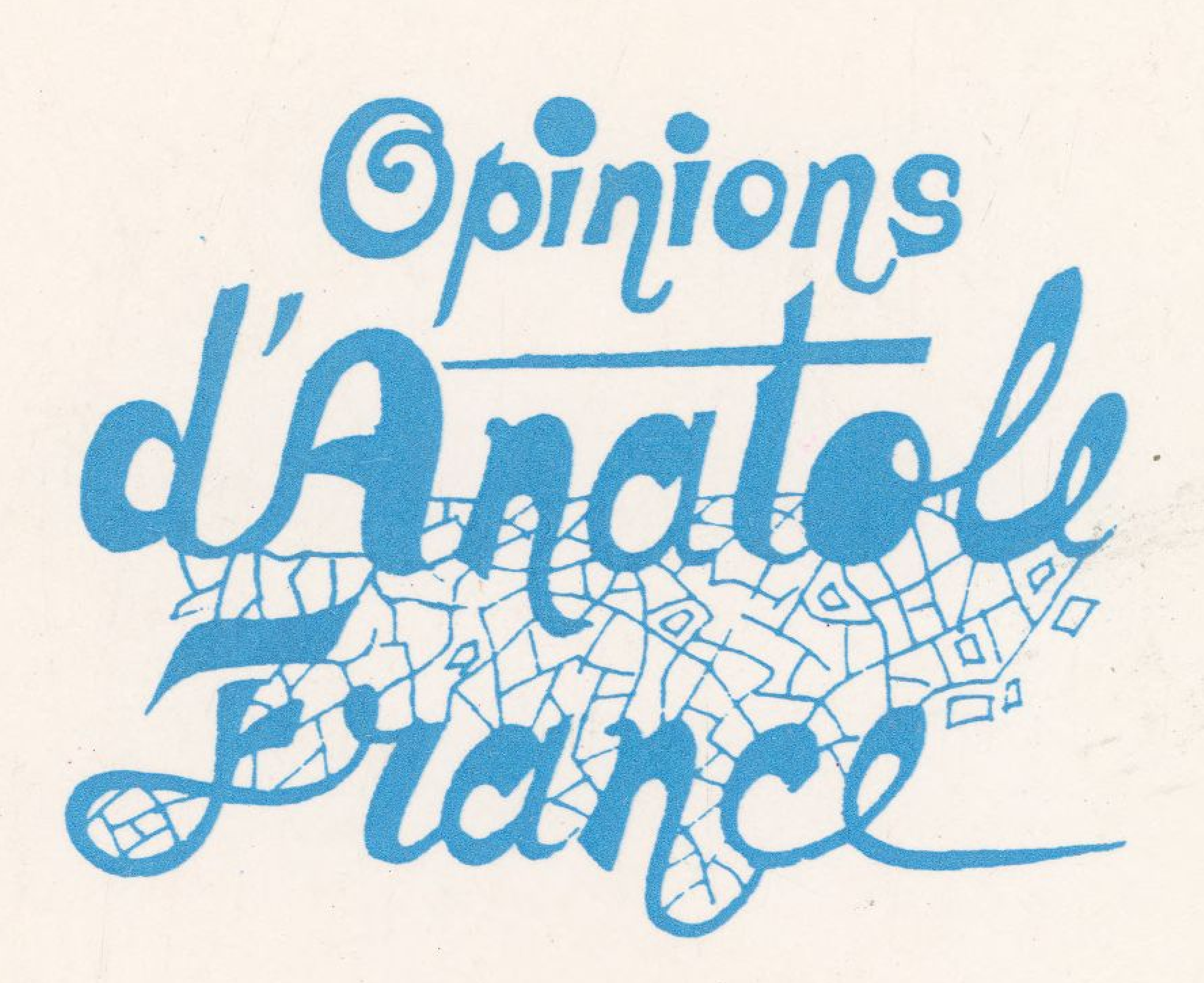
OMAR FAKHOURY



Dar al-Afaq al-Jadida BEIRUT-LEBANON

OMAR FAKHOURY

ŒUVRES COMPLTES



Dar al_Afaq al_Jadida

الثمن : ١٥ ل.ل.